346

HARLEQUIN

روايات أحلام

سجينة الحب

آن ميثر

www.elromancia.com
مرمرية

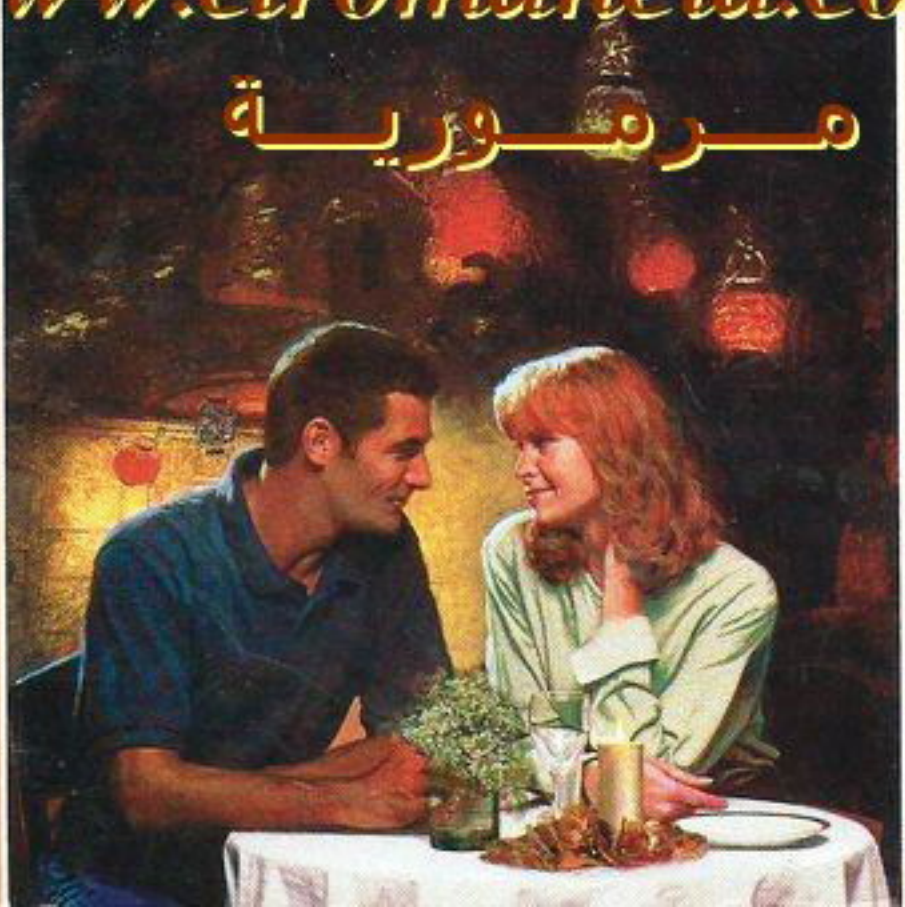

سجينة الحب

ـ لم نكن صديقين قط!

قال اليخاندرو: "أنا مسرور لاتفاقك معي. فنحن لم نكن صديقين. بل كنا حبيبين".

ـ لم يكن بيننا شيء. أتمنى فقط لو تتركني وشأني!

انفجرت آبي تقول هذا بقنوط. فقال: "أحقا! وهل هذا ما يتمناه أخوك أيضا!"

ـ دع إدوارد خارج هذا!

فقال بأسف: "لا يمكنني هذا. أليس هذا ما جعله يطلبك للحضور! لأنه يرجو أن تنجحي حيث فشل هو!".

فأجفلت: "فشل! فشل في ماذا!".

بدا اليخاندرو وكأن اضطرابها سره: "ألا تعلمين!".

ـ أعلم ماذا!

ـ هذا ما علي أن أعرفه. وما عليك أنت أن تكتشفيه. ستتعشين معي غدا وسنتابع حديثنا هذا.

ـ لا!

ـ بل أظنك ستأتين. يا عزيزتي!

لبنان	2500 ل.ل	البحرين	1 دينار
سوريا	75 ل.س.	السعودية	10 ريال
الأردن	1.5 دينار	مصر	8 جنيه
الكويت	750 فلس	المغرب	15 درهم
الإمارات	10 دراهم	تونس	2 دينار
قطر	10 ريال	عمان	1 ريال

ISBN 9953-15-259-4

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من *Harlequin Enterprises II B.V*

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة *Harlequin Enterprises II B.V.*

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة *Harlequin Enterprises II B.V.*

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
Alejandro's Revenge
First published in Great Britain 2003
Harlequin Mills & Boon Limited
© *Anne Mather 2003*
Translation © Dar El-Farasha - 2004
ISBN 9953 - 15 - 259 - 4

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - ستر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 961-1-450950- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟
لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟
ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

آن ميـثر

بدأت آن ميثر بالكتابة منذ طفولتها وتطوّرت أعمالها تدريجياً من روايات المراهقين الغرامية العاصفة إلى روايات الحب المتّزنة التي تهوى مطالعتها. وهي متزوّجة وأمّ لولدين، يعيشون معاً في شمال إنكلترا. تستمتع آن ميثر إلى جانب الكتابة بهوايات عديدة، منها المطالعة وقيادة السيّارات والسفر إلى أماكن مختلفة حيث تعثر على أفكار لروايات جديدة. تعتبر آن ميثر نفسها محظوظة جداً بممارسة عملٍ لا تستمتّع به فقط، بل يدرّ عليها المال كذلك.

١ ـ مواجهة غير متوقعة

عندما خرجت آبي من مبنى المطار، منذ نصف ساعة، بهرها نور الشمس وأخذ العرق يسيل. لكنها تشعر الآن بالبرد وهي تنعم برفاهية سيارة الليموزين. كل ما أرادته هو أن تصل إلى مقصدها حيث يمكنها أن تستلقي حتى يزول صداعها.

لكن هذا لن يحدث، على الأقل في وقت قريب. وبدلاً من أن تجد لورين في استقبالها، إذا بها تواجه السائق الخاص الجامد الوجه الذي بدا غير راغب في تبادل أي حديث معها.

لم تشعر في البداية بأي قلق. كانت زحمة السير تشلّ حركة المرور تقريباً، وعندما تحوّل السائق الداكن البشرة عن الطريق العام إلى متاهة معقدة من الطرق افترضت أنه يسلك طريقاً مختصرة إلى المستشفى.

لكنها ما لبثت أن أدركت بضيق، أنها مخطئة. فهي الآن شبه واثقة من أنهما يبتعدان عن المدينة وعن مستشفى « سانت داد ميموريال»، حيث يستلقي أخوها المصاب. ما تتذكره من زيارتها السابقة إلى هذه المنطقة أقنعها بأنهما متجهان إلى «كورال غابلس». الوحيدون الذين تعرفهم في «كورال غابلس» هم أهل لورين وأليخاندرو فارغا، كما أخذت ذاكرتها تنبهها بخشونة.

على أيّ حال، إذا كانا ذاهبين إلى بيت اسكويفال، فعليها أن تحتمل ذلك، إذ سيخبرونها على الأقل مدى إصابة إدوارد. ولعل لورين مقيمة عندهم أثناء وجوده في المستشفى، فهي لم تفكر في طرح أي سؤال عندما اتصل بها إدوارد.

www.elromancia.com

ركّزت انتباهها على ما يحيط بها، فنظرت إلى الشارع العريض الذي تحيط به الأشجار والذي يحاذي خليج «بسكاين باي» بمياهه المتلألئة. هذه المنطقة جنوب ميامي معروفة بجمال مناظرها، وهي أغنى مناطق البلاد. وقد بذل أهل زوجة إدوارد جهودهم لجعلها تشعر بذلك.

تفكيرها في والديّ لورين، أعاد تفكيرها إلى سبب وجودها هنا. وتمنت لو أن أحدهما جاء ليستقبلها. فلا بد أنهما يعلمان أنها قلقة على أخيها. هل من خطب ما؟ هل حدث مكروه؟ وما هو السبب في إحضارها إلى هنا؟

ربما مات!

فاجأتها هذه الفكرة المرعبة. رباه!... لقد تحدثت إليه منذ يومين فقط وأطلعها على تفاصيل حادث السيارة الذي أدّى إلى نقله إلى المستشفى، ما ترك لديها انطباعاً بأن حالته غير خطيرة. نعم، بدا متكدراً ومستاءً، لكنها اعتقدت أن السبب هو شعوره بالغربة ووجوده في مستشفى في بلد غريب.

لكن هذا سخيف، فإدوارد يعتبر عملياً أميركياً بعد أن عاش في فلوريدا ثلاث سنوات وتزوج من لورين اسكويفال.

وتنهدت آبي.

حدّثها حدسها بأن هذه الزيارة لن تمرّ بهدوء. وتذكرت رد فعل روس حين أخبرته بما ستفعل، فهو يرى أن الوقت حان لكي ينضج إدوارد ويتحمل مسؤولية تصرفاته، بدلاً من أن يتصل بشقيقته كلما تعرّض لمشكلة. لكن هذا ليس صحيحاً تماماً، في رأي آبي. حين كان أصغر سناً، كان أخوها فعلاً اتكالياً نوعاً ما، ويعتمد على أخته لتخرجه من المشاكل التي يزّج نفسه فيها. وهكذا، أمضت آبي قسماً من مراهقتها وبداية العشرينات في تسديد ديونه.

وعند بلوغه التاسعة عشرة، خطر له أن يسافر للعمل في الولايات المتحدة.

كانت آبي، حينذاك، في الرابعة والعشرين. وقد افتقدته كثيراً فلطالما تجنبت إغراء الارتباط بعلاقات مع الشبان لكي تبقى بالنسبة إليه بمثابة الأم التي لا يتذكرها. وعندما فارقها لم يعد لديها ما يعزّيها سوى مهنتها في التعليم.

واعترفت بأسى بأن الحياة عادت فابتسمت لها، وسرّها أنّ إدوارد انسجم مع محيطه حتى أقنعت نفسها بأنه سينجح عندما اتصل بها قائلاً إنه سيتزوج ابنة صاحب المطعم حيث يعمل وقد أصرّ على أن تأتي لحضور العرس...

لكنها خرجت عن الموضوع. والعرس ونتائجه المؤلمة انتهت منذ زمن طويل، وعليها أن تركّز اهتمامها على سبب وجودها هنا. ولكن حتى مرأى تلك المساحات الشاسعة من الأرض المعشوشبة واللافتة المكتوب عليها (نادي الهامبرا الريفي) والساحة العامة المجاورة له... كل ذلك لم يستطع أن يمحو شعور القلق الذي كان يزداد في أعماقها، ليتها فقط تعلم ما يحدث! ليتها فقط تعلم حالة إدوارد وأين هو!

وحدّثت نفسها بعنف بأنه على ما يرام، فهي لن تصفح عن نفسها قط إذا حدث له مكروه. لا بأس، إن روس على حق، فهي لا تستطيع أن تتحمّل مسؤولية سفره إلى فلوريدا. ومن المؤكد أن بإمكانه رعاية نفسه، وقد بلغ الثامنة والعشرين من عمره. ولكن إدوارد سيبقى دوماً أخاها الأصغر. ويبدو أن شعورها بغريزة الأمومة نحوه، هو ما يجعلها تحيطه بكل تلك الحماية.

نظرت حولها، وأخذت تمسّد إصبعها الذي تتألق فيه ماسة خطيبها روس. لقد تعرفا إلى بعضهما البعض بعد أن رحل إدوارد إلى الولايات المتحدة، لكن علاقتهما لم تصبح جميلة إلا في الأشهر الأخيرة. وقد أعلنا خطوبتهما في فترة عيد الميلاد.

في البدء، أحدث إدوارد صدعاً بينهما. فروس اعتبر قرارها المجيء مندفعة إلى هنا، تلبية لطلب أخيها، تصرفاً أحمق. لقد قررا أن يتزوجا

www.elromancia.com

بعد ستة أشهر. وهو يرى أن إضاعة المال سدى على شراء تذاكر الرحلة بالطائرة إلى فلوريدا من دون وجود إثبات حقيقي على أن أخاها في خطر، غباء محض.

حسناً... لم يقل روس بالضبط إنها غبية. إنه أكثر حرصاً وتعقلاً من أن يقول ذلك. لكنه لا يكف عن القول إن الأمور ستختلف بعد الزواج، وسيكون عليها أن تتوقف عن التصرف وكأن إدوارد بحاجة إليها لكي تمسك بيده.

وعبست آبي. بعد الزواج؟ ولسبب ما، بدت الكلمات هنا أقل إقناعاً منها في لندن! وهذا لا يعني أنها لا تهتم بروس، كما أخذت تحدّث نفسها، بل.. ربما تهتم به لأنها بقيت عزباء فترة طويلة. لماذا تجد صعوبة في التصميم على وضع مستقبلها بين يدي أي رجل؟

أم أن اليخاندرو فارغا قد...

وجدت نفسها، مرة أخرى، تبعد عن ذهنها تلك الذكرى المشؤومة. تماماً كما تبعد ذكرياتها عن هرب أمها الذي تسبب بتسمم أبيها بسبب إدمانه على الكحول. لقد انتهى كل ذلك الآن ولم يعد له علاقة بالحاضر، وهي هنا لكي تساند إدوارد ليس إلا.

إلا إذا أتى اليخاندرو لزيارة ابنة عمته أثناء وجودها هنا. لكن ذلك لن يحدث، كما أخذت تطمئن نفسها. لأن علاقته بوالديّ لورين ضعيفة للغاية. وحسب ما تتذكر، اليخاندرو هو ابن خال بعيد لوالدة لورين، وقد زارهم يومها لحضور العرس، كما أن لديه زوجة.

وتملكتها غصة بالرغم منها، وسرّها أن يعيدها تباطؤ السيارة المفاجيء إلى واقعها بسرعة. فأفكارها قد شردت لحظات عدة، لكنها رأت الآن أنهما دخلا المنطقة السكنية حيث تقع مزرعة آل اسكويفال.

لم تكن تلك مزرعة بالمعنى الحرفي، بل هي عبارة عن فيلا فسيحة نوعاً ما قائمة في أرض مزروعة. لم يكن بجانبها موقف للسيارات ولا غرفة للحارس. وإنما يحيط بها سور حجري مرتفع يصّد أعين

الفضوليين.

وأرغمت آبي نفسها على البحث بنظراتها عن شارع ساوث كتلر حيث يعيش والدا لورين. ولحسن الحظ، لم يكن الشارع قريباً من شارع أولد أوكرا حيث منزل اليخاندرو.

راحت آبي تنظر بإعجاب إلى واجهة فندق غابلس، وفجأة التفت إليها السائق قائلاً: «أظنها أول زيارة لك إلى فلوريدا، يا سيدتي».

بدت في صوته لكنة إسبانية ثقيلة، وفوجئت بسؤاله، ما جعلها تحدق إليه بصمت قبل أن تقول، محاولة ألاّ تشعر بالانزعاج لأنه انتظر طويلاً قبل أن يحدق إليها: «أنا... بل هي الثانية».

ومرّت بيدها على شعرها وقد شعرت باستياء لمخاطبته لها بكلمة (سيدتي)... أتراها تبدو كبيرة في السن إلى هذا الحد؟

ـ إذن، فقد سبق لك زيارة آل اسكويفال؟

فابتلعت ريقها: «هل نحن ذاهبان إلى هناك؟ وماذا بشأن أخي؟ هل تعرف عنه شيئاً؟».

قال السائق بانزعاج: «لم يخبرني أحد شيئاً عنه، يا سيدتي. ولكن بما أنه يقيم في بيت اسكويفال حالياً، أظنك ستعلمين بأخباره قريباً».

فتحت فمها ذاهلة: «يقيم في بيت اسكويفال؟ لكنني فهمت أنه في المستشفى؟»

ـ أظنه شفي. وكما قلت، ستعلمين عنه قريباً.

تكهنت آبي بأن ما تشعر به من ذهول بدا واضحاً على وجهها، فحاولت أن تتمالك نفسها وقد اندفعت إلى ذهنها كل شكوك روس. كان عليها أن تتحدث إلى طبيب إدوارد قبل أن تغادر إنكلترا، وراحت تأمل ألاّ يكون أخوها قد أحضرها إلى هنا لمجرد نزوة حمقاء خطرت له.

أوقف السائق السيارة الفخمة أمام بوابة عالية تعمل على الكهرباء. وما إن أنزل زجاج النافذة وأعلن عن هويته أمام كاميرات الأمن، حتى أخذ مصراعا البوابة الثقيلان ينفتحان، فاندفعت السيارة في طريق المنزل

إلى بيت آل اسكويفال.

لا غرابة الآن أن يتملك القلق آبي. فكل ما كانت تفكر فيه هو رؤية أخيها مرة أخرى، دون أن تهتم بالنظر إلى هذا البيت ذي الطراز الإسباني الجميل بأعمدته المزخرفة وبواليه.

ما إن وقفت السيارة حتى انفتح باب ضخم وخرجت منه خادمة في ثياب رسمية وسرعان ما هبطت السلم لتستقبلها. ما إن وصلت حتى فتحت باب سيارة الليموزين داعية آبي إلى الخروج.

- شكراً!

نزلت آبي من السيارة وهي تمرّر يديها على بنطلونها الكاكي الذي غدا مجعّداً. لا بد أنها تبدو في حالة مزرية في ملابس السفر، وتمنت لو أنها أحضرت معها ملابس للتغيير في الطائرة. وفكرت في أن تخرج سترتها من حقيبتها، لكن ما إن خرجت من السيارة، حتى أدركت أن حرارة الجوّ مرتفعة، وأنها لا تحتاج إلى سترة.

- مرحباً بك في ميامي، سنيورا.

قالت الخادمة هذا تحييها بأدب. وعندما نزل السائق ليخرج حقيبة آبي من السيارة، قالت له بغزل واضح: « مرحباً كارلوس. كيف حالك؟».

أجاب الرجل على تحية الخادمة بحماسة أقل من حماستها: «جيد، شكراً».

ثم قال مخاطباً آبي: «سأدع حقيبتك هنا، يا سيدتي. وأتمنى أن يكون الأمر على ما يرام بالنسبة إلى أخيك».

ووضع الحقيبة الثقيلة على الأرض، ما جعل آبي تتساءل إن كان يحظر على بقية المستخدمين الدخول إلى هذا البيت. وما لبثت الخادمة أن أمسكت بالحقيبة ثم دفعتها لتجرها على عجلاتها صعوداً إلى أعلى السلم. ثم وقفت تنتظر آبي بشيء من فروغ الصبر. لحقت آبي بها، فسارت أمامها إلى الردهة الفسيحة حيث بدا الجوّ بارداً منعشاً.

نظرت حولها، معترفة بأنها نسيت حقاً كم هو جميل منزل آل اسكويفال. فهو باتساعه وبرودته يجسد جمال الهندسة الإسبانية بنوافذه الطويلة التي تطل على فناء داخلي حيث تتدلى سلال الزهور من على الأعمدة.

- الآنسة آبيغايل . . . ليتون!.

جاء الصوت الأنثوي الناعم من الصالون الملاصق لقاعة الاستقبال. التفتت آبي فرأت والدة لورين، وهي امرأة قصيرة القامة ممتلئة الجسم إنما بالغة الأناقة. بدت دولوريس اسكويفال منسجمة مع محيطها. شعرها الأسود الناعم المرفوع بأناقة جعل خصلات شعر آبي الجعد الأحمر تبدو في حالة مخزية. وتابعت المرأة: «أهلاً وسهلاً بك في فلوريدا».

وراح كعبا حذائها العاليان يقرعان الأرض المصقولة وهي تتقدم لتحية ضيفتها متابعة: «هل كانت رحلتك مريحة عزيزتي؟».

ردّت آبي التحية شبه ذاهلة: «أنا . . . نعم، شكراً».

بدا لها أن والدة لورين تتصرف وكأنها قادمة إلى هنا في إجازة لا مندفعة في أول طائرة لتكون بجانب أخيها المصاب. وتابعت تقول: «إنه لطف بالغ منك أن تسأليني عن رحلتي».

- عزيزتي. نحن سعداء جداً بحضورك إلينا.

هل توتر فم دولوريس قليلاً أم أنها مخطئة في ظنها؟.

- نعم، ولكن. . .

تجاهلتها والدة لورين والتفتت إلى الخادمة التي كانت تتسكع في الخلف، وأمرتها أن تأخذ حقيبة ضيفتهم إلى الطابق الأعلى.

- آه. . . ولكن . . .

حاولت آبي أن تعترض، متلهفة إلى أن تُفهم المرأة أنها لا تنوي أن تثقل عليهم بالضيافة، لكن والدة لورين سارت أمامها وكأنها صمّاء عن سماع احتجاجها: « من هنا. أنا واثقة من أنك تريدين رؤية أخيك.

الجميع هنا الآن».

في ما بعد، وبعد أن استقرت مرغمة في جناح في الطابق الأول حيث سبق لها أن أقامت أثناء زيارتها الأولى إلى فلوريدا، عجبت آبي لعدم توقعها وجود اليخاندرو هنا.

ولكن كيف كان يمكنها أن تتوقع ذلك؟ لقد ظنت أنه مجرد قريب كان مدعواً إلى العرس حسب تخطيط الأسرة. لم تكن تعلم أن صداقة حميمة تربط بينه وبين أفراد أسرة اسكويفال، ولا أن لورين تعامله بمثل هذه المودة الواضحة.

تبعت دولوريس إلى الصالون الفسيح الذي يبدو أنه يمتد إلى الجزء الخلفي من المنزل، وهي ما تزال تشعر بشيء من الدوار بسبب الانتقال من الشمس إلى الظل. لذا لم تكن في حال يسمح لها بأن ترى على الفور كل الأشخاص الذين كانوا في الغرفة.

كان إدوارد هناك، كما رأت بشيء من الارتياح، مضطجعاً على أريكة، تحيط به الوسائد. بدت ساقه مغطاة بالجبس من الورك حتى الركبة، ولم يكن باستطاعته التقدم لتحيتها. ترددت لحظة قبل أن تندفع إليه وهي تهتف بصوت أجش، وقد اغرورقت عيناها بالدموع: «إدوارد. ما الذي فعلته بنفسك؟».

انحنت تُقبل خده، فأمسك بيدها وهو يحييها بلهفة: «هاي، آبي. الحمد لله على قدومك».

قال الجملة الأخيرة بصوت أكثر انخفاضاً.

اتسعت عيناها إزاء كلماته غير المتوقعة هذه. ولكن قبل أن تندفع في قول أي شيء، أمسكت يد أخرى بكمها، وسمعت صوتاً مألوفاً يقول: «آبيغايل، ما أجمل أن أراك مرة أخرى».

التفتت آبي وهي تنتصب في وقفتها، فرأت لويس اسكويفال واقفاً خلفها مباشرة. كان والد لورين أطول من زوجته بقليل فقط، وذا وجه عريض أسمر وشاربين ضخمين. مدّ يده إليها قائلاً: «هل كانت رحلتك

سارة؟».

تملكها الاضطراب، فمع أن أخاها لا يبدو في حالة سيئة إلا أن كلماته أقلقتها. لقد جعلها تعتقد أنه سيمكث في المستشفى لفترة طويلة، وها هو الآن، باستثناء إصابته الواضحة بكسر في الساق، يبدو بحالة لا بأس بها.

لكن والد لورين ينتظر جواباً. فتمالكت نفسها ثم قالت مبتسمة بأدب: «كانت متعبة، شكراً لك».

نظرت حولها متوقعة أن ترى لورين، لكن زوجة أخيها لم تكن في الغرفة. وبدلاً منها رأت امرأة كبيرة في السن جالسة بجانب نباتات مغروسة في آنية، وخلفها في الظل بجانب مدفأة مزخرفة من الفخار، وقف رجل طويل يرتدي السواد.

الشخص الوحيد الذي كانت متلهفة إلى الحديث معه كان لورين نفسها، فهي تريد أن تعلم ماذا تخفي كلمات إدوارد اليائسة. تريد أن تعلم لماذا شعر بالحاجة الماسة إلى أن تأتي، هي آبي، إليه.

لكن لويس اسكويفال أراد مرة أخرى أن يستحوذ على انتباهها: «دهشنا جميعاً عندما أخبرنا إدوارد أنك تنوين زيارتنا، رغم أن حالة أخيك تتحسن كما ترين».

تملكت آبي الحيرة. وتحوّلت عيناها إلى إدوارد، الذي بدا عليه، فجأة، الاهتمام بالجبيرة حول ساقه. وعندما أخذت تنظر إليه، تحرك في مقعده بضيق.

ـ أنا . . . لقد ظننت . . .

ما إن بدأت بالكلام حتى تقدم الرجل الطويل الذي كان يقف بجانب المدفأة إلى حيث تسرّب ضوء الشمس من بين الستائر غير المسدلة تماماً.

ـ أنا واثق من أن آبيغايل قلقت عندما سمعت بالحادث الذي تعرض له أخوها.

www.elromancia.com

قال هذا بتلك اللهجة البطيئة المثيرة التي تتذكرها آبي جيداً، ليس في ذهنها فقط بل في كل خلية فيها. وعندما استدارت بسرعة، وهي لا تصدق أن لديه الجرأة للقدوم ومواجهتها، قابل اليخاندرو ذعرها بابتسامة صغيرة ساخرة، ومال برأسه نحوها بكل غطرسته القديمة: «آبيغايل! يا له من سرور غير متوقع».

أيها المغرور!

مضت لحظة تملك فيها آبي الخوف من أن تكون قد نطقت بهذه الكلمات فعلاً. ولكن عندما نظرت حولها لم تر نظرة رعب على أي من الوجوه. بل على العكس، فقد كان الجميع بمن فيهم إدوارد، ينظرون إلى اليخاندرو باستحسان واضح، وتمنت لو أن الأرض تنشق وتبتلعها عندما أدركت أن المتوقع منها أن تشكره. وأخيراً قالت بلهجة متوترة: «مرحباً، سيد فارغا».

ألقت نظرة خاطفة على وجهه الأسمر. كانت واثقة من أنه يعلم بالضبط شعورها نحوه. وتوهج وجهها وعنقها بذلك اللون الأحمر الذي لا تستطيع التحكم فيه.

استوعبت، على الفور، كل ما فيه... من شعره الأسود الناعم الذي يحتك بياقته عند الرقبة، حتى خديه الأرستقراطيين. كان من الصعب أن تتظاهر حتى أمام نفسها، بأن صورته لم تنطبع بشكل لا يمحى في ذاكرتها في السنتين الماضيتين. ومجرد أنها أصبحت تكرهه وتحتقره لم يكن كافياً لمحوها، وهي تشك في أن تتمكن من ذلك حتى نهاية عمرها.

حاجباه المقوّسان كانا يعلوان عينين ظنتهما في البداية سوداوين، ثم اكتشفت أنهما بُنّيتان داكنتان تحيط بهما أهداب سوداء تثير حسد أي امرأة.

لكن هذا كان الشيء الأنثوي الوحيد الذي يتميّز به اليخاندرو فارغا. فهو طويل القامة ومظهره ينبيء عن أصله الكوبي، كما بدا

واضحاً أنه ورث جينات أمه الأميركية أيضاً، فقد كانت ظاهرة في جسمه الضخم وساقيه الطويلتين القويتين. أما بذلته المتقنة التفصيل، فقد تكهنت آبي أنها من تصميم إيطالي... بدا قوياً، منيعاً، وأليفاً للغاية، إلى درجة لوّت قلبها.

رباه، كم كانت حمقاء! من الواضح أن الندم لا يتملكه بالنسبة إلى الماضي. ولماذا يندم؟ لقد كانت بالنسبة إليه مجرد شيء جديد يلهو به. أما هي، أخت إدوارد الكبرى، فكان يجدر بها أن تكون أكثر حكمة وأعقل من أن تقع في حب رجل مثله.

مدّ يده ليصافحها فاضطرت إلى مصافحته. أي تصرف آخر منها كان سيُعتبر إهانة لأسرة اسكويفال.

ومع ذلك، عندما أطبقت أصابعه على أصابعها، لم تستطع أن تقاوم رعشة سرت في كيانها. سرت الحرارة من أصابعه إلى أصابعها، وبعد القشعريرة الباردة التي تملكتها لرؤيته، اكتسحتها فجأة موجة ساخنة.

انتزعت يدها من يده وضغطتها على وسطها، آملة ألاّ يلاحظ أحد حركتها هذه، ذلك أنها ستشعر بالإحراج لو أن الأسرة تصورت أنها تخفي بعض المشاعر نحو هذا الرجل. حاولت أن تبدو طبيعية وأضافت بثبات: «لم أتوقع أن أراك هنا».

ـ ولكن اليخاندرو يعتبر هذا بيته الثاني.

قالت دولوريس هذا بحرارة وهي تتقدم إليه. ثم تأبطت ذراعه وهي تتابع: «أليس كذلك يا عزيزي؟».

فأجاب بشهامة: «شكراً لضيافتك الكريمة».

وعندما حوّلت آبي نظراتها بعيداً عن المشهد رأت شفة أخيها تلتوي باشمئزاز واضح. إذن، لم يكن هناك ودّ بين الرجلين... وتساءلت بفضول عما عسى أن يكون في ذهن إدوارد ضد هذا الرجل. على أي حال، ومهما كانت أخطاؤه، لا شك أنه رجل قوي النفوذ في ميامي. لكنها، لم تقطع آلاف الأميال من وطنها إلى هنا لكي تقلق على علاقة

www.elromancia.com

أخيها بهذا الرجل. إدوارد هو الذي يهمها.

قبل أن تتمكن من التحدث إليه، سمعت خطوات خفيفة الوقع تجتاز الردهة. وتحوّلت الأنظار إلى الباب لتقع على امرأة شابة تقف عند العتبة، سرعان ما أصبحت قبلة الأنظار.

افترضت آبي أن هذا ما كانت تهدف إليه المرأة. نظرت إليها لورين لحظة قبل أن تدخل الغرفة برشاقة. بدت صغيرة الحجم كأبويها، ولكن برشاقة تحسد عليها. كانت ترتدي ثوباً من الكتان الرقيق مزيّناً بالأزهار يصل إلى منتصف ساقيها.

أطالت الفتاة النظر إلى آبي، ثم اندفعت نحوها واحتوتها بين ذراعيها المعطّرين، وهتفت: «آبيغايل، لم أدرك أنك وصلت».

تمكنت آبي من أن تحييها بكلمة حارة، لكنها أدركت على الفور الفرق بينهما، وكيف يبدو ذلك واضحاً للآخرين... ولأليخاندرو على الأخص. لا بد أنه لاحظ أنها أطول من لورين بخمسة عشر سنتيمتراً على الأقل، هذا إلى معطيات أخرى.

بعد أن أدت لورين واجبها، التفتت إلى الضيف الآخر وهي تبتسم: «أليخاندرو، لماذا لم تخبرني بقدومك؟».

ـ أتعنين أنه لم يفعل؟.

تمتم إدوارد بذلك بصوت منخفض بحيث تأكدت آبي أن أحداً غيرها لم يسمعه، لكنها قطبت جبينها بشيء من القلق. من المؤكد أن إدوارد لا يغار من اليخاندرو فارغا. ذلك أن الرجل متزوج، رغم أن ذلك لم يمنعه من التقرب منها في الماضي. ومع ذلك...

ـ لم أكن أنوي أن أكون هنا.

قال اليخاندرو هذا بينما كانت لورين تمسك بيديه بعتاب حار.

ثم أضاف: «لديّ عمل أردت أن أناقشه مع أبيك، وهذا كل شيء. وعندما سمعت أن آبي قادمة...».

وتحوّلت نظراته إلى حيث كانت آبي واقفة، وتابع رافعاً حاجبيه:

«كيف أرحل قبل أن أجدد تعارفنا؟».

ـ يا للأمير الفتان!.

قال إدوارد هذا بخشونة، ومرة أخرى كانت آبي فقط هي التي سمعته لقربها منه. في تلك اللحظة تقدمت دولوريس متلهّفة إلى المساهمة في الحديث: «أصرّ اليخاندرو على إرسال سيارته وسائقه إلى المطار لاستقبال آبيغايل».

وهكذا اتضح لآبي سبب عدم بقاء السائق بعد أن أنزلها أمام الباب. وعندما اضطرت لورين أخيراً إلى ترك يديّ اليخاندرو والالتفات إلى زوجها، أدركت آبي أنها أصبحت الآن في وضع شائن لكونها مدينة له بالشكر أيضاً.

ـ إنه ذو قلب كبير.

قال إدوارد هذا قبل أن تتمكن من الكلام، ودون أن يخفض صوته هذه المرة، ورغم أن هذا شغل آبي عن الإجابة، فقد شعرت بعدم الارتياح وهي تدرك عدم استحسان أسرة اسكويفال لمزاح صهرهم هذا.

وما لبث لويس اسكويفال أن قال لأليخاندرو وعيناه تلتهبان غضباً: «يجب أن تصفح عن إدوارد، أنا آسف لأن الاصطدام لم يلطف من طبعه يا صديقي».

ثم التفت إلى آبي متكلفاً الابتسام: «تعالي يا آبيغايل لكي أعرفك إلى عمتي».

وجرها عبر القاعة إلى حيث كانت السيدة المسنة جالسة تغالب النعاس تحت أشعة الشمس التي تتسرب من بين الستائر، فلمس كتفها برفق: «عمتي إيلينا. أتعرفين أخت إدوارد؟ لقد جاءت لتمضي معنا عدة أيام».

كانت العمة إيلينا طاعنة في السن وقد ملأت الغضون وجهها، وقالت بالإسبانية: «طبعاً».

ثم مدّت يدها إلى المرأة الشابة: «أليست هي آبيغايل؟ أخبرني إدوارد

www.elromancia.com

بأنك هاربة من الشتاء الإنكليزي. أليس كذلك؟».

لا!.

ومرة أخرى، اضطرّت آبي إلى أن تعض لسانها لتمنع نفسها من تأكيد براءتها، وبدلاً من ذلك هزّت يد المرأة العجوز وقالت بابتسامة خفيفة: «ومن لا يحب أن يهرب إلى هنا؟ فكل شيء هنا... جميل جداً».

فقالت العجوز باستحسان: «أنت على صواب. لويس، علينا أن نستخدم هذه الشابة لكي تقوم بالدعاية للمجمّع الترفيهي الذي تقوم بإنشائه، ما رأيك؟».

ـ كلامك صحيح.

قال هذا بأدب، لكن آبي أحست أنه ما زال يجاهد ليكبح غضبه من إدوارد، بينما تابع قائلاً: «آبيغايل تستقبل دوماً هنا بالترحاب. وهي تعلم ذلك».

أحقاً؟ كان لدى آبي انطباع واضح بأن أسرة اسكويفال لم تكن مسرورة تماماً بحضورها، لما لا؟ من الواضح أن إدوارد ليس في حالة خطيرة، بل إن الأمر يبدو وكأنه أحضرها إلى هنا لهدف خاص.

نبذت آبي أفكارها وخرجت إلى شرفتها الصغيرة. شعرت بالانتعاش حين أحسّت بحرارة تبدد البرودة التي تتملكها. وفكرت أنها تبدو هنا كالمتطفلة وهذا شعور سيء خصوصاً أنها لم تشأ المجيء.

ولكن لماذا يتملكها هذا الشعور؟ لا يمكنها أن تجد عيباً في ضيافة آل اسكويفال إذ بالرغم من تصرفات إدوارد الوقحة، تم تقديم الشاي المثلّج لها قبل أن ترافقها الخادمة إلى غرفتها. شعرت بالامتنان للعمة إيلينا التي وفرّت عليها الحديث مع أخيها أو مع اليخاندرو. فبدلاً من ذلك، راحت تجيب عن أسئلة السيدة العجوز، وهي تجلس على حافة الأريكة الصفراء اللون.

ولكن لماذا أحضرها إدوارد إلى هنا؟ أخذت تتساءل وهي تقطف أوراق زهرة متفتحة من النباتات المتعرّشة على سياج الشرفة الحديدي.

وما هو هدفه من ذلك؟ عندما غادرت انكلترا كانت تتصور الأسوأ. والآن هي واثقة من أن هناك شيئاً لم يخبرها عنه إدوارد، لكنه لا يتعلق بحادث الاصطدام.

سمعت أصواتاً قادمة من الطابق السفلي ومن بينها صوت اليخاندرو. ورغم أنها لم تستطع أن تفهم ما يقول، إلا أنها فكّرت أن بإمكانها أن تميّز ذلك الصوت في أي مكان. يبدو أن اليخاندرو كان يهم بمغادرة المنزل، وأن أفراد الأسرة الثلاثة خرجوا لوداعه.

نظرت آبي إلى الأسفل بشيء من التوتر. فالشرفة التي تقف عليها تطل على الحديقة الأساسية ما يسمح لها برؤية المدخل الأمامي للمنزل.

كانت تعلم أن عليها أن تتراجع إلى الخلف، وأنها بوقوفها هنا تتطفل على عزلتهم، لكنها بقيت حيث هي. ليتها تعلم ما الذي تقوله زوجة أخيها! فحركات جسد لورين المنفعلة أثارت فضولها. بدا واضحاً أنهم يحترمون هذا الرجل الذي لم تتوقع آبي قط أن تواجهه هنا.

بدا اليخاندرو هادئاً متزناً بابتسامته الكسول. لوّح بيده بأدب قبل أن يتجه نحو سيارته الفارهة السوداء التي كانت متوقفة في الفناء.

استدارت عائدة إلى غرفة نومها وهي تفكر أن عليها هي أيضاً أن ترحل في أقرب وقت ممكن. هناك طائرة متوجهة إلى لندن غداً في مثل هذا الوقت، وعليها أن ترتب أمر رحيلها على متنها. فبعد أن تبيّن لها أن كل ما يرغب فيه إدوارد هو شخص يشكو إليه، لم يعد لها عذر للبقاء.

قررت أن لا تخرج كل ملابسها من الحقيبة التي كانت الخادمة قد وضعتها عند أسفل السرير. لحسن الحظ أنها وضعت ثوبين يصلحان للنهار والليل على وجه الحقيبة، وهذا كل ما ستحتاجه.

وتنهدت. هذه الرحلة ستصبح كارثة. إنها تعرف ذلك، وكم تتمنى لو تخنق إدوارد بيديها لأنه وضعها في هذا الموقف.

قرع على بابها جعل تفكيرها هذا يتوقف مؤقتاً. ألقت على السرير الثوبين اللذين أخرجتهما من الحقيبة، ثم سارت إلى الباب. كان إدوارد

ينتظر في الخارج، إذ يبدو أن بإمكانه التجوال بواسطة عكازين تحت إبطيه. ولم تتردد آبي سوى لحظة واحدة قبل أن تقف جانباً لكي يدخل. أغلقت الباب ثم استندت إليه لحظة، دون أن تقول شيئاً. ثم سارت إلى غرفة النوم لتكمل ما كانت تقوم به قبل أن يقاطعها. وعندما أخذ أخوها يعرج ليقف في المدخل ويراقبها، اضطرت إلى مبادلته نظراته الضارعة.

ـ هل أنت غاضبة مني؟

سألها متوسلاً، فأخذت نفساً عميقاً قبل أن تجيب: «وهل تلومني؟ لقد جعلتني أظن أن إصابتك خطيرة للغاية. كنت قلقة جداً عليك، وإذا بي أرى أن حالتك غير خطيرة ولا تحتاج إلى أكثر من عدة أسابيع للشفاء».

وكأن إدوارد شعر بالإهانة: «هذا غير صحيح تماماً».

فنظرت إليه بصبر، ثم ردت باختصار: «ما هي إصابتك؟ كسر في الفخذ؟ جروح ورضوض؟ لا أظن أن هناك ما يهدد حياتك».

عرج إدوارد إلى كرسي بذراعين بجانب باب الشرفة فتهالك عليه، وسألها: «ماذا تقولين؟ هل عليّ أن أكون على شفير الموت حتى أستحق أن تحضري لرؤيتي؟»

فتنهدت: «أنت تعلم أن هذا ليس ما أعنيه».

ـ أحقاً أعلم؟ لا أظن ذلك.

ـ حسناً، لن تجعلني أشعر بالذنب إدوارد، فأنا أعرفك جيداً. ما الذي يحدث هنا بالضبط؟ عليك أن تخبرني بهذا أيضاً. ليس لديّ وقت أضيّعه في التخمينات».

لوى إدوارد فمه باستياء: «يبدو أنك لم تعودي تهتمين بما يحدث لي».

ـ آه، إدوارد.

وتهالكت آبي على جانب ظرف السرير شاعرة برغبة في الصراخ. يكفي سوءاً أنه أحضرها إلى هنا، لكنها لا تريد أن تسمع شكواه: «كفى

تحريفاً لكلامي. أنا مسرورة طبعاً برؤيتي لك، ولكن عليك أن تفهم أن هذه ليست عطلة لي».

ـ كذلك هي ليست عطلة لي.

تمتم إدوارد بذلك متبرماً، فهزّت رأسها: «أنت تعرف ما أعنيه. كان عليّ أن آخذ إجازة من المدرسة. وقد اتفقنا أنا وروس على. . .».

ـ آه، طالما تساءلت متى سيتقدّم روس كينيون لخطبتك.

قاطعها إدوارد بذلك بخشونة، ما ذكّرها أنه وروس لا يتفقان أبداً. لقد تعارفا السنة الماضية عندما أحضر إدوارد لورين إلى موطنه لترى مسقط رأسه.

يومها كانت علاقتها بروس لا تزال في مراحلها الأولى وقد بدت لها فكرة تعريفهما ببعضهما البعض فكرة جيدة، آملة أن ينسجما معاً، لكن ذلك لم ينجح. فقد اعتبر روس أن إدوارد أناني وغير ناضج، كما كره أخوها على ما يبدو روس.

عاد إدوارد يقول: «على أيّ حال، معك حق. أنا لم أطلب منك القدوم إلى هنا بسبب حادث الاصطدام».

قطبت آبي حاجبيها اللذين يبدوان أكثر سواداً من شعرها، وسألته بحذر: «لماذا طلبت مني المجيء إذن؟».

فردّ إدوارد: «أردت أن أتحدث إليك عن لورين. أعتقد أنها على علاقة برجل آخر».

* * *

www.elromancia.com

٢ ـ دعوة أم فخ؟

ذهلت آبي: «لا أظنك جاداً».

ـ لِمَ لا؟.

أجابها إدوارد بذلك بكآبة وهو يرفع بصره عن السجادة: «ألا تظنين أن أي رجل قد يرغب بإقامة علاقة معها؟».

أحياناً كانت آبي توافق روس في تقييمه لإدوارد. وهكذا قالت له: «لا تكن غبياً! ليس لهذا علاقة بالأمر. ما أعنيه هو أنني لا أستطيع أن أتصور سبب ظنك هذا».

أم لعلها تستطيع؟ وتذكرت بالرغم عنها كيف كانت لورين تتصرف مع اليخاندرو فارغا. لاحظت آبي أن لورين بدت مسرورة لرؤيته بشكل غير عادي. عبس إدوارد ثم قال ما جعلها تصعق: «كيف لا، وهي لا تفوّت فرصة تسنح لها لتمضي الوقت مع فارغا؟ والآن وأنا نصف معاق بهذه الساق، لا أدري أين تكون في أغلب الأوقات».

فتحت فمها ذاهلة وهو يتكلم، لكنها أسرعت تقول: «لا أراك تعني أنها على علاقة مع...».

فأجاب متحدياً: «لِمَ لا؟».

ـ حسناً، لأنه... متزوج.

ـ لم يعد متزوجاً.

ـ لم يعد متزوجاً! أتعني... أنه مطلّق الآن؟.

فقال بمرارة: «هذا ما حدث. لطالما ظنت أنه لا يستحق أن تكون ماريا زوجة له».

لم تعرف آبي ماذا تقول. آخر ما تريده هو أن يظن إدوارد أنها ما زالت تهتم باليخاندرو. ومع ذلك... وأخيراً غامرت تسأله غير مصدقة: «أتريد أن تقول إن للورين علاقة بطلاقه؟»

هبطت كتفا إدوارد وقال: «لا. لقد حدث ذلك منذ فترة طويلة. كانت بينه وبين ماريا مشاكل حتى قبل أن نتزوج».

أحقاً؟.

حاولت أن تخفي عنه رد فعلها. فقد تذكرت بوضوح أن إدوارد جعلها تظن أن اليخاندرو وماريا زوجان سعيدان، وأن دولوريس شعرت بالاستياء عندما طرأ على ماريا شأن عائلي منعها من حضور العرس. ما كان ذلك الشأن العائلي؟ طلاق وشيك؟.

انتبهت إلى أن إدوارد ينظر إليها بشيء من الريبة، فرفعت حاجبيها بشكل دفاعي، ثم سألته بعفوية مصطنعة: «ماذا؟».

ـ أخبريني، لماذا تنظرين إليّ بهذا الشكل؟

ـ أي شكل؟

فقال باستياء: «لا تتظاهري بأنك لا تعلمين. أراهن على أنك كنت تفكرين أن هذا يخالف ما قلته لك من قبل».

فسألته مدعّية البلاهة: «ما الذي يخالف ما قلت من قبل؟».

ـ إن فارغا وزوجته ليس لديهما مشاكل. لا بأس، أعترف بأنني كنت أريد أن أبعدك عنه. فقد رأيتك منجذبة إليه ولم أشأ أن يحب شخص مثله أختي.

حدّقت آبي إليه: «ماذا تقول؟ هل أخبرتني أكاذيب عنه؟».

فقال مدافعاً عن نفسه: «لا، ليست أكاذيب. فقط بالغت في الحقيقة قليلاً، وهذا كل شيء. ليس الأمر هاماً».

هزّت آبي رأسها غير مصدقة: «ومن أعطاك حق التدخل في

www.elromancia.com

حياتي؟».

ـ آه، لا تجعلينا نذهب بعيداً. لم يكن لديكما أمل أنت واليخاندرو، أليس كذلك؟ أعلم أنك سررت جداً عندما عرض عليك أن يأخذك بسيارته ليريك معالم المنطقة وما أشبه، ولكن عليك أن تفهمي أن هؤلاء الرجال معتادون على ذلك. اللحاق بالمرأة، أي امرأة، هي طبيعة ثانية فيهم، وفارغا هو أكثرهم براعة في هذا. لم أحبه قط. وكنت أرجو، بعد أن ينتهي العرس، أن يزحف عائداً إلى مكانه، يا له من حظ!.

قال إدوارد هذا متهكماً.

ـ إدوارد!.

قال دون ندم: «حسناً... كنت أظنه من أقاربهم البعيدين. ولم تكن لديّ فكرة أن حضوره سيبقى مستمراً في حياتنا. أتعلمين أنه يملك أكبر قدر من الأسهم في شركة لويس؟ إنه ولويس شريكان. شريكان! كيف تظنين شعوري إزاء ذلك؟ أنا صهر لويس وليس اليخاندرو».

تملّك آبي الذهول... الذهول لكذب إدوارد عليها من جهة ولحسده لذلك الرجل من جهة أخرى. لم تعرف إن كان عليها أن تصدّق ظنونه باليخاندرو ولورين، لكنها سترجىء الحكم في ذلك. فبعدما أخبرها به، كيف يمكنها أن تثق بأي شيء يقوله؟.

شعرت بسرور بالغ لأنها لم تفضي بمشاعرها إلى إدوارد، فهي لو فعلت ما كان سيشركها في مشاكله الحالية.

قالت له بحذر: «ما زلت لا أفهم ما تقول. أنا أقبل قولك إن اليخاندرو هو زائر منتظم للمنزل. لكنكما، أنت ولورين، لا تعيشان هنا. لديكما شقتكما الخاصة في «كوكونت غروف» أليس كذلك؟».

فنظر إليها ساخطاً: «أنت لا تعلمين الكثير عن الأسر الكوبية. حسناً، دعيني أخبرك، إنهم يلتصقون ببعضهم البعض. نعم، لدينا شقتنا الخاصة، لكن لورين نادراً ما تبقى هناك. عندما أذهب أنا إلى العمل، غالباً ما تأتي إلى هنا أو إلى مكان آخر، هل فهمت معنى

كلامي؟».

ـ مكان آخر؟.

ولم تفهم ما يعنيه بذلك، لكنها تركته يتكلم. فقال عابساً: «نعم. تتودد إلى... اليخاندرو».

لفظ اسم الرجل كما تلفظه لورين فقالت آبي تعترض بعدم رضا: «لكنه قريبها. والأقارب لا يقيمون علاقات مع بعضهم البعض في هذه البلاد. خصوصاً وأن قرابتهما تُعتبر قرابة حميمة».

قال إدوارد بعناد: «قولي هذا لزوجتي. وعلى كل حال، هو ليس قريبها، بالضبط. وإنما هو قريب بعيد لأمها».

فتنهدت آبي: «ومع ذلك...».

فقال بحدّة: «ومع ذلك، أنا أعرف ما أتحدث عنه. كان عليّ أن أدرك أنك لن تصدقيني. إنه روس، أليس كذلك؟ لقد سمّم ذهنك ضدّي».

فشهقت: «لا تكن سخيفاً. لا يمكن أن يفعل روس شيئاً كهذا... أنا فقط... ولكن ما هي البراهين التي تملكها؟».

ـ وهل أحتاج إلى براهين أكثر؟ أنت رأيتهما معاً، أخبريني بصدق ألا يبدوان أكثر قرباً وحميمية من قريبين بعيدي القرابة؟».

انتصبت آبي واقفة، شاعرة فجأة بإنهاك لا يصدق. فيومها كان متعباً للغاية. صحيح أن الوقت في ميامي الآن بداية المساء، لكن الساعة في لندن تجاوزت الحادية عشرة بقليل. ثم إنها نسيت أن تتصل بروس فور وصولها كما وعدته. أتراه سيفهم أن لديها أشياء أخرى في ذهنها؟.

لكن إخلافها وعدها لروس هو آخر ما يقلقها. عندما وافقت على القدوم إلى هنا، كانت ترجو أن تتمكن من تجنب أي حديث عن ذلك الرجل الذي سبّب لها كل ذلك العذاب في حياتها. والآن يبدو أنه جزء من الأسباب التي جعلت إدوارد يستدعيها. منذ سنتين تخلصت من التفكير فيه، كما تذكّرت بمرارة. لقد تصرف بقسوة بالغة، وهي لا

تظن أن بإمكانها أن تصفح عنه لذلك، يوماً ما.

ـ آبي؟.

كان إدوارد يحدّق إليها بنظرة ملؤها الأمل، فتكهنت بأنه لم يكن يفكر فيها.

ـ أنا متعبة.

قالت هذا وهي تتأمل بشوق السرير الفسيح. ولكن يبدو أن هذا لم يعجب إدوارد، فبدا الاستياء على وجهه. عادت تقول: «فقط لا أدري ما الذي تريده مني إدوارد. أنا لن أمكث هنا سوى يومين. إذا كنت تتوقع مني أن أتجسس على زوجتك لأجلك، إذن...».

لكن إدوارد هتف بفروغ صبر: «هيه... أنا لا أطلب منك أن تتصرفي كمخبر خاص. فأنا أشك في أنك تصلحين لذلك على كل حال، فأنت لست من النوع الذي لا يلفت أنظار من حوله».

حبست آبي أنفاسها: «أتعلم؟ أظن أنه يجدر بي أن أتصل بالمطار كي أسألهم متى أستطيع أن أرحل بأول طائرة إلى الوطن. أنا أدرك أنك متكدر بشأن لورين، ولكن هذا لا يمنحك الحق في أن تهينني».

فقال غاضباً: «تباً! أنا لا أهينك. لكنك لا تعرفين الحقيقة. لا بأس، ربما أنا لست ماهراً في اختيار كلماتي، ما أريد أن أقوله هو أن الناس يهتمّون بك. إنهم يهتمون بكل امرأة طويلة حمراء الشعر تسير في هذه الأنحاء. وربما لا حظت هذا».

تنهدت آبي بإذعان: «لا بأس، ما دام هذا ما تعنيه».

حاول أن يمسك بيدها، لكنها تجنبته. فتابع يقول: «نعم، هذا ما عنيته. هيا يا آبي خففي عنك. على الأقل بإمكانك أن تقولي إنك مسرورة برؤيتي».

هزّت آبي رأسها: «فقط أريد أن أعلم لماذا أحضرتني إلى هنا. إنني مسرورة برؤيتك، ولكن إذا كنت تريد نصيحتي، كان بإمكانك أن تحصل عليها عبر الهاتف».

أنزل إدوارد يده على فخذه: «حسناً، لا يبدو عليك الاهتمام بالأمر».

ـ إدوارد!.

ـ أوه، لا بأس.

ونهض على عكازيه ثم سار إلى الشرفة: «أريد عونك».

ـ عوني؟.

تبعته آبي إلى عتبة الباب وأخذت تنظر إليه وهو يستدير ثم يتكىء بظهره إلى الدرابزين: «كيف لي أن أساعدك؟ هل تريد أن تعود إلى انكلترا؟ هل هذا هو الأمر؟ هل تريدني أن أساعدك لتبدأ مرة أخرى هناك؟».

بدا عليه الذهول: «آبي، لا أحد يمكنه أن يقنعني بالعودة إلى انكلترا. أنا أحب هذا البلد. إنه موطني الآن. ليس هذا البيت طبعاً. رغم أنه إذا ساعدني الحظ، سيصبح بيتي ذات يوم».

وضحك، ثم عاد فأدرك أن أخته تنظر إليه مذعورة، فسكت: «لا. ما أعنيه هو أن لدي وظيفة جيدة في المطعم، وسأكون أحمق إذا فكرت في ترك فلوريدا والبدء من جديد».

ـ ماذا إذن؟.

ـ امنحيني وقتاً. الأمر ليس سهلاً بالنسبة إليّ يا آبي. لا أريدك أن تظني أنني لم أفكر في الأمر من كل نواحيه.

ـ تفكر في أي أمر؟ إدوارد، إذا كنت تتوقع مني أن أحاول إقناع لورين...

ابتعد عن الدرابزين واقترب منها: «لورين؟ لورين لن تصغي إلى أيّ مما قد تقولينه. إنها عمياء صمّاء تجاه أي نقد يتعلق بفارغا».

ـ هذا حسن، لأنني كنت سأقول إنني لن أفعل ذلك. هيا، إدوارد، ابدأ بالموضوع.

أحنى إدوارد رأسه يتأمل الجبيرة وكأنه ينتظر أن تلهمه. ثم، عندما

www.elromancia.com

همّت آبي أن تصرخ به، قال: «في الواقع، لا أريدك أن تتحدثي إلى أحد. أريدك أن تستعملي كل الوسائل الضرورية لكي تنزلي فارغا عن ظهري».

***

فتحت آبي عينيها مع انبثاق أول خيوط الفجر، إذ أن ساعة جسمها ما تزال تعمل بتوقيت انكلترا. ومع أنها وجدت صعوبة لا تصدق في النوم الليلة الماضية، إلا أنها لم ترغب في النوم الآن.

تعبها لم يمنع ذهنها من التفكير، لكنه زاد من تشوّشه. بدت متلهفة للهرب من تلك الشكوك التي تتملكها. يا إلهي العزيز، ماذا أفعل؟

رغم مضي اثنتي عشرة ساعة منذ فجّر إدوارد قنبلته، فإنها ما زالت تشعر بالذهول.

هل طلب منها حقاً أن تحاول استعمال نفوذها على اليخاندرو؟ هل يظن حقاً أن الرجل الآخر سيهتم بكل ما ستقوله؟ لقد مضت سنتان منذ تحدثت إلى ذلك الرجل، وقد عانت خلالهما من تحطم القلب.

هل يريد إدوارد حقاً أن تحاول إثارة اهتمام اليخاندرو القديم بها؟ وبكلمة أخرى، أن تغريه إذا استطاعت؟ أي نوع من الأخوة ذلك الذي يطلب من أخته شيئاً كهذا؟

ألقت عنها الغطاء ونزلت من السرير. لم يكن عشاء الليلة الماضية كما كانت تتوقعه أبداً. وبدا واضحاً من تصرفات أسرة اسكويفال أنهم يعتقدون بأنها هي التي دعت نفسها إلى هنا. سألتها دولوريس بأدب وهي تقدم إليها طبقاً من الأرز والبازيلا لتسكب منه: «كم يوماً يمكنك البقاء هنا؟ لم يستطع إدوارد أن يخبرنا عن ذلك».

أراهن على أنه لا يستطيع، هكذا حدّثت آبي نفسها بصمت وهي تلاحظ أن إدوارد عاد مرة أخرى إلى تجنب عينيها. لكنها أجابت: «عندما أخبرني إدوارد عن حادث السيارة، جئت لأرى حالته بنفسي. أرجو أن لا يكون لديكم مانع».

فقال لويس اسكويفال يطمئنها: «طبعاً ليس لدينا مانع».

وتابع يقول بتهذيب: «أنت أخت إدوارد، يا آبيغايل، وهذا البيت يرحب بك في أي وقت. أرجو أن يكون أخوك قد أكدّ لك هذا».

تمكنّت آبي من الابتسام مع أنها شعرت بالضيق لقبولها ضيافتهم. استطاعت بصعوبة أن تبتلع الأرز المطبوخ بالبهارات الحريفة وبفتيك لحم البقر. وعندما انتهى الطعام تذرعت بالتعب وعادت إلى غرفتها.

طوال المساء لم تتبادل آبي مع زوجة أخيها أكثر من كلمتين أو ثلاث. لقد أبدت لورين تحفظاً بالغاً إزاء الاشتراك في الأحاديث المختصرة التي دارت بينهم. وتساءلت آبي عما إذا كان الشك تملكها عن سبب حضورها، ولكن هذا غير ممكن. من غير المعقول أن يخبرها إدوارد، حتى أن لورين لم تكد تتحدث إلى زوجها كذلك.

هزّت رأسها. الوضع كله غير قابل للتصديق. أيمكن حقاً أن يدعوها إدوارد للمجيء إلى هنا بسبب بعض الاهتمام الخاطف الذي أبداه نحوها اليخاندرو منذ سنتين؟ وكيف يتوقع منها أن تجعل رجلاً غريباً عنها يفضلها على قريبته؟ هذا أمر مضحك لا يقبله عقل. ثم إنها مخطوبة لروس. كون إدوارد لا يحبه لا يعني أن تتجاهل مشاعر خطيبها وتتصرف . . . كامرأة مستهترة.

أزاحت الستائر ثم فتحت الباب وخرجت لتتمتع ببرودة الصباح المنتعشة.

الحديقة كانت لا تزال في هذه اللحظة موشحة بالظلال. ومع ذلك، أنبأها صوت الماء الجاري بأن هناك من يسقي النباتات. فالأفنية لا تبدو خضراء بهذا الشكل بالمصادفة، كما أخذت تفكر وهي تعود إلى غرفتها.

قررت أن تأخذ حمّاماً يصفّي ذهنها ويساعدها على التفكير، فدخلت الحمّام. ثم تذكرت بأن عليها أن تتصل بروس قبل أي شيء آخر.

تنهدت وهي تعدّل حرارة الماء، متسائلة عما عليها أن تخبر خطيبها عندما تتصل به. إذا أخبرته أن حالة إدوارد غير خطيرة، سيتوقع منها أن تعود إلى أرض الوطن على الفور. وهذا ما ينبغي عليها أن تقوم به، كما

أخذت توبّخ نفسها بعنف.

دخلت تحت شلال الماء، وهي تتساءل عما يدفعها إلى التردد. تأخيرها العودة إلى الوطن لا يفعل سوى إعطاء أخيها أملاً زائفاً. لا بأس، هو ولورين يمرّان بمرحلة صعبة وهذه الأشياء تحدث، ولكن ليس بإمكانها أن تفعل شيئاً يغيّر ذلك. عليه هو أن يسعى ويبذل جهده في إعادة إضرام تلك المشاعر التي جذبتهما إلى بعضهما البعض.

كانت هناك زجاجات شامبو على رف زجاجي. واختارت آبي شامبو برائحة الليمون لشعرها. وتركت الدوش أخيراً، وهي تشعر أنها متألقة. تناولت منشفة وأخذت تجفف شعرها وجسدها بسرعة، ثم استعملت المنشفة لمسح قطرات الماء عن المرآة الأقرب إليها، وأخذت تتأمل مظهرها بعين نقّادة وهي تتساءل عما يجعل ادوارد يعتقد أن اليخاندرو قد يفضّلها على لورين. إن ما يفكر به أخوها أمر غير واقعي مهما كان شعورها بالنسبة إلى ذلك.

قررت أن تتصل بروس قبل أن تجفف شعرها.

بعد أن أدارت مكيّف الهواء، التفّت بروب الحمام، ثم جلست على الكرسي الذي جلس عليه إدوارد الليلة الماضية، وتناولت سماعة الهاتف.

أدارت رقم هاتف المدرسة التي يعملان فيها معاً. الوقت ما زال مبكراً، ولكن حسب توقيت انكلترا، فإن روس يتناول غداءه الآن. احدى سكرتيرات المدرسة وصلت الخط إلى غرفة الموظفين، وتملكها الارتياح عندما ردَّ عليها روس بنفسه. وعندما عرفها، هتف بها: «آبي، ظننتك ستتصلين بي الليلة الماضية. انتظرتك إلى ما بعد منتصف الليل».

ـ أعرف هذا، وأنا آسفة.

تمنّت لو أنه لم يبدأ بالتذمر: «كما أنني لم أنسَ. الأمر هو ... حسناً، أنا أقيم مع أنسباء إدوارد حالياً، وهناك بعض التعقيدات».

ـ ما هي هذه التعقيدات؟ إصابات أخيك؟.

تنهّدت قائلة: «لا. إصابات إدوارد ليست معقدة، ولكن...».

ـ ولكن إعادته إلى بيته تستغرق أكثر من يومين، أليس كذلك؟.

كان روس يتكهن مستبقاً أجوبتها ما جعلها تشعر بالانزعاج. وتمنت لو أنه يصغي فقط إلى ما ستقوله، بدلاً من ذلك.

حاولت أن توضح له أنه يقيم مع آل اسكويفال أيضاً. ولكن روس ظل مصمماً على وضع تفسيره الخاص، فقال: «آه، فهمت. لقد عاد إلى شقته. لورين تعتني به. لكن شقته صغيرة، أليس كذلك؟ هذا هو السبب في إقامتك مع والديها؟».

أطلقت آبي زفرة وردّت: «لا. إنهما ليسا في الشقة. إنهما يقيمان هنا».

ـ يقيمان...؟.

ولأول مرة بدا روس غير واثق من نفسه، وكأنه تذكر: «وكيف حال إدوارد؟ هل عرفت كيف حدث له ذلك؟».

فقالت محاولة التسلح بالصبر: «لقد اصطدم سائق سكران بسيارته. من حسن حظه أن الاصطدام حدث في الجانب الثاني للسيارة ولم يكن هناك أحد بجانبه. وإلا لكان قتل».

ـ حسناً، يبدو من خروجه الباكر من المستشفى أن إصابته ليست خطيرة. هذا ما ظننته. وهكذا، متى ستأتين؟.

حتى هذه اللحظة، كانت آبي تفكر في العودة إلى الوطن. إذ لا يمكنها أن تأخذ بجدية ما قاله إدوارد لها.

لكن افتراض روس أنه ما دامت إصابة إدوارد غير خطيرة، عليها أن تستقل الطائرة التالية عائدة إلى لندن، افتراضه هذا مسّ منها وتراً حساساً. كان عليه أن يبدي بعض الاهتمام بشقيق خطيبته ثم إن عادته المزعجة في إظهار نفسه أنه دوماً على حق، أثارتها.

فأجابت وقد قررت أنه يستحق هذا الجواب لأنه متبلّد الإحساس: «لا أدري. قد أبقى هنا عدة أيام».

فقال دون أن يدرك أنه يخطو على أرض خطيرة: «ولكن لماذا؟ من المؤكد أنه ليس بحاجة إليك لتمسكي بيده. إن لديه زوجة، يا آبي. وأنا لا أظنها تحبذ تدخلك بينهما بذلك الشكل».

ردّت عليه آبي بحدة: «أنا لم أحضر إلى هنا لأجل لورين. يبدو أنك لا تدرك ما يسببه حادث الاصطدام من ضغط نفسي».

ما إن نطقت بهذه الكلمات حتى تساءلت من تراها تخدع؟ إن كان إدوارد يعاني من أي ضغط نفسي، فهو ليس بسبب الحادثة. بدا على روس الضيق: «آه، لا بأس. لقد نسيت أي زهرة حساسة هو إدوارد».

ثم تابع بسخرية: «كوني واقعية، آبي. إدوارد ليس بحاجة إليك. إنه فقط يستغل هذا الأمر لينتقم مني. أراهن أنه اغتاظ جداً عندما علم بخطوبتنا».

ذعرت آبي للهجة العداء في صوته: «هل هذا ما تظنه حقاً؟ أرجوك يا روس، أنا لم أتصل بك لكي أسمع محاضرة عن مزايا أخي. لقد أصيب بصدمة سيئة. هل هناك غرابة في أن يحتاج بعض المؤاساة؟».

شخر روس ساخراً: «مؤاساة؟ أحياناً أعجب لك. صدقيني أنك تُخدعين بسهولة. لا غرابة في أن يعبث بك إدوارد. حسناً، بعد أن نتزوج يجب أن تتغير الأمور. سأجعله يعلم أنه لا يمكن أن يركض إليك في كل مرة يحتاج فيها إلى كتف يبكي عليها».

حبست آبي أنفاسها: «في هذه الحالة قد لا نتزوج. عليّ أن أذهب الآن وسأحدثك فيما بعد».

ـ حسناً، حيث أن...

لكن آبي لم تنتظر لتسمع أكثر من ذلك، بل وضعت السماعة باشمئزاز متمنية لو أنها لم تتصل به. وأخذت تحدق إلى الهاتف للحظات قبل أن تنهض وتبتعد شاعرة بالتوتر، مسرورة لأنه لا يستطيع العودة إلى الاتصال بها. رغم أنه يعرف رقم هاتف إدوارد، إلا أنه لا يعرف رقم هاتف منزل آل اسكويفال. حتى أنه لم يسألها عن رحلتها. يبدو أنه لا

يهتم بشيء إلا بوقت عودتها. لماذا لا يمكنه أن يكون متعاطفاً متفهماً؟ لو كان كذلك ربما حزمت حقائبها الآن وذهبت إليه. في الواقع، جعلها هذا تلزم نفسها بالبقاء عدة أيام أخرى، بينما لم يكن في نيتها ذلك. إما هذا، وإما المجازفة بأن تدع روس يعتقد بأنه حصل على ما يريد مرة أخرى.

نظرت إلى ساعتها فإذا هي الثامنة تقريباً. لم تعرف ما إذا كانوا هنا يتناولون إفطاراً، وأين. لكنها كانت متلهفة للخروج من غرفتها. وقررت أن تهبط إلى الطابق الأسفل. وربما توافيها لورين إلى هناك. إنها ترحّب بفرصة تتحدث فيها إلى تلك الفتاة. أي شيء هو أفضل من البقاء هنا تحت رحمة أفكارها.

أصبح الجوّ الآن حاراً. فتحت حقيبتها وراحت تفتش عن ثياب مناسبة، إلى أن وجدت بلوزة من دون كمّين وبنطلوناً قصيراً. كان شعرها قد جف تقريباً، لكنه ما زال يبدو مشعثاً، فأخذت فرشاة ومشطت بسرعة خصلاته الرطبة وجعلتها ضفيرة واحدة.

لم تعبأ آبي بتزيين وجهها، فالزينة لا تدوم في هذه الحرارة. كانت بشرتها بعكس معظم ذوات الشعر الأحمر، تحتمل صبغة الشمس. وهكذا ما زالت بشرتها تحتفظ ببعض اللون الذي كانت قد اكتسبته في جنوب إيطاليا الصيف الماضي.

عندما وصلت إلى الطابق الأسفل، لم تر أحداً. فسارت في الممر الفسيح الذي يؤدي إلى خلف البيت. وجدت هناك شرفة محاطة بالستائر ومغمورة بأشعة الشمس، وهي تؤدي إلى فناء داخلي، حيث فاجأ حواسها مزيج غريب من شذا الأزهار.

خرجت من بين ظلال الأعمدة التي تحيط بالفناء الداخلي فرأت أمامها بحيرة للسباحة تتألق مياهها.

وتساءلت عما إذا كان هناك من يستعملها هذه الأيام. عندما جاءت إلى هنا منذ سنتين، لم يفكر أحد من أسرة اسكويفال في السباحة في مياهها

الصافية العميقة. كانت بالنسبة إليهم مجرد زينة ورمزاً لعلو الشأن، تماماً كتلك الآلات الرياضية الموجودة في القبو والتي لا يستعملها أحد أيضاً.

دست يديها في جيبيّ بنطلونها وأخذت تسير على الدرجتين المنخفضتين اللتين تفصلان البحيرة عن الفناء الداخلي. وإذا بها تجفل وهي ترى شخصاً بملابس سوداء ينهض من جانب البحيرة.

كان هذا اليخاندرو مرتدياً قميصاً أسود وبنطلوناً أسود. يبدو أنه كان جالساً على إحدى الأرائك القائمة تحت عرائش من النباتات المزهرة. وقف، فبدا مهيباً ضامر الجسم. راح ينظر إليها بعينين غامضتين. وشعرت آبي بجفاف في فمها ولم تعرف ما عليها أن تقول له.

قال وهو يحني رأسه بأدب: «مرحباً، آبيغايل. آسف إذا كنت قد أجفلتك. ظننت أنك رأيتني».

في الواقع لو رأته لاستدارت على عقبيها وعادت إلى المنزل.

أجابت وهي تنظر خلفها راجية أن تجد طريقة للنجاة: «أنا... لا. أنت مبكر في زيارتك. هل تنتظر لويس؟».

زمّ فمه لحظة، ثم أجاب: «لا. في الواقع، لا يعلم أحد من الأسرة بوجودي هنا ما عداك الآن. هل هذا يزعجك؟».

ـ ولماذا يزعجني؟.

ردّت عليه بحدة وهي تفكر في أن تكشف له عن مشاعرها نحوه. لكنها عادت فأدركت أن هذه ليست الصورة التي يريدها إدوارد أن تبدو بها، فأضافت: «لا، أبداً».

ـ هذا حسن.

واستدار يشير إلى صف من الأرائك خلفه: «ربما تودين أن تجلسي معي».

رأت آبي صينية على المنضدة ذات السطح الزجاجي بجانب الكرسي التي كان يجلس عليها، وعلى الصينية إبريق من عصير البرتقال الطازج وكأسان وإبريق قهوة وفنجانان. بدا واضحاً أنه يتوقع مرافقاً، وتساءلت

بشيء من النفور ما إذا كانت لورين ستوافيه.

ـ أنا... لست واثقة من أن هذه فكرة جيدة.

وتابعت: «كنت أود رؤية لورين، أتعرف إن كانت في هذه الأنحاء؟».

ـ حسب معرفتي بلورين، إنها نادراً ما تخرج من غرفتها قبل الظهر. وأنا آسف لعدم تمكني من مساعدتك في هذه النقطة. ربما تراجعين رأيك بالنسبة إلى دعوتي لك.

تقدم خطوة نحوها فكان على آبي أن تقوي نفسها إزاء رجولته الفياضة. ما زال بإمكانه أن يزيد من سرعة نبضها بمجرد وقوفه بقربها.

قالت بصوت ثابت: «لا... لا أدري».

تمنت لو تستطيع أن تضع مشاعرها جانباً وتتصرف معه بالعفوية التي يتصرف هو بها نحوها. بعد معرفتها القصيرة بهذا الرجل، أصبحت بالغة الحذر من أن تثق برجل أكثر من اللازم، مرة أخرى.

ـ لا أظن أن ثمة ضرر في أن نتشارك معاً في تناول فنجان قهوة.

قال اليخاندرو هذا، ومضت لحظة ظنت فيها أنه سيمسك بذراعها ويقودها إلى الكرسي لتجلس، لكنه تابع يقول: «لا تخافي، آبيغايل. كل ما في الأمر أنني أتمنى أن أتحدث معك».

هل عليها أن تكون شاكرة لذلك؟ أخذت آبي تتساءل عما عسى أن تكون أفكاره حقاً خلف هذا القناع الهادىء المزعج. وأخيراً أذعنت: «حسناً، لا بأس. أين تريدني أن أجلس؟».

إذا أرادت أن يصدق أنها نسيت لقاءهما منذ سنتين، فعليها أن تتصرف بشكل أفضل. أشار اليخاندرو إلى كرسي عند الزاوية اليمنى من المائدة: «أظنك ستكونين مرتاحة تماماً هناك، في الظل».

حبست أنفاسها وهي تدور حوله، متجنبة أي احتكاك بينهما. وبعد أن جلست، جلس هو على المتكأ قبالتها بشكل جانبي ماداً ساقيه: «ماذا تفضلين أن تشربي؟ عصير برتقال أم قهوة؟».

في الواقع إنها تفضل العصير، لكنها كانت بحاجة إلى مادة الكافيين المنعشة، وهكذا طلبت قهوة. ودهشت عندما سكب لها القهوة بنفسه ثم سألها إن كانت تفضل الحليب والسكر معها، قبل أن يناولها فنجانها.

فكرة جلوسها هنا لتشرب القهوة مع الرجل الذي جعلها تقع في حبه بطريقة ملتوية هو شيء لا يصدق. ألا يشعر بالخزي؟ متى سيذكر لها أنه نسي أن يخبرها بأمر زوجته حينذاك؟

لكن هذا كله أصبح من الماضي، كما ذكّرت نفسها، مركزة انتباهها على قهوتها، محاولة أن تضع مثل هذه الأفكار جانباً. ما ينبغي أن تسأل نفسها عنه هو لماذا دعاها إلى تناول القهوة معه؟ لماذا يريد أن يمضي أي وقت معها؟ تلك الجاذبية السريعة التي كان يشعر بها نحوها قد ماتت ودفنت، وعليها أن تشك في دوافعه الآن.

ومع ذلك، كان يرغب فيها ذات يوم. على الأقل رغب فيها... وكادت تسقط في شباكه لولا معرفتها بزواجه، لكم شعرت بالخيانة في ذاك الوقت! والتوت شفتاها. ربما يريد منها أن لا تشي به إلى أسرته فتفسد عليه خططه الحالية.

لاحظت آبي أنه لم يمس فنجان القهوة الذي سكبه لنفسه، بل أخذ يعبث بالخاتم في إصبعه الصغير.

قال فجأة: «تبدين جذابة، يا آبيغايل».

وضعت فنجانها في الصحن بشكل أعنف مما كانت تنوي. ليس هذا ما كانت تتوقعه على الإطلاق، فيما تابع هو يقول: «كيف حالك؟ علمت أنك ما زلت تعلمين. هل أنت سعيدة في متابعة عملك؟».

ـ عليّ أن أعيش، إذا كان هذا ما تعنيه.

أجابته بتوتر، وهي تتساءل عما يجعله يهتم بمعرفة ذلك عنها. وقال بما يشبه ابتسامة: «طبعاً. كان إدوارد سيخبرني لو أن ظروفك تغيرت».

أحقاً كان سيفعل؟ تملك آبي شك كبير في ذلك. ولماذا يخبره إدوارد بأي شيء؟ ما يعنيه طبعاً هو أن إدوارد كان سيخبر الأسرة، ولا بد أن

يصل الخبر إلى مسامعه.

ـ هل ترى إدوارد كثيراً؟.

سألته بعد أن رأت أن هذه طريقة جيدة لمعرفة رأيه بأخيها، فنظر الرجل الأسمر إليها باتزان: «ألم يخبرك؟».

سألها مستغرباً فنظرت إليه مرة أخرى بحذر: «أنا... أعتقد أنك ولويس، تعملان معاً هذه الأيام. هل تمضي... هل تمضي كثيراً من الوقت هنا؟».

حاولت أن تجعل صوتها محايداً وهي تسأله. فتأملها لحظة قبل أن يجيب بجفاء: «هل هذه طريقة مهذبة لتعلمي إذا كان من المحتمل أن أكون.. كما يقال.. تحت قدميك؟».

ـ لا!.

وفجأة توهج وجهها احمراراً: «ما تقوم به لا شأن لي به، سيد فارغا. كنت فقط أتساءل لماذا... لماذا أنت هنا مبكراً...».

رفع اليخاندرو حاجبيه: «وأظنني أوضحت سبب ذلك. ثم (سيد فارغا)؟ أتظنين حقاً أن بإمكاننا أن نتصرف وكأننا لم نتعارف من قبل..

ـ آه، رباه!.

كانت على وشك رفع فنجانها مرة أخرى، لكنها شدّت الآن على يديها في حجرها. لم تتصور قط أنه يمكن أن يواجهها بوقوعها في حبه بتلك الطريقة الغبية. ألا يشعر بالخزي؟ أم أنه يستمتع برؤيتها تتلوى ألماً وارتباكاً؟.

ـ أفضل أن لا نتحدث عن ذلك.

قالت له هذا أخيراً رغم أنها قررت ألاّ تناديه مرة أخرى السيد فارغا، فهي لا تريد أن تغضبه وإلا سيبدو ذلك حماقة. وتابعت تقول: «كانت تلك غلطة سرعان ما نسيتها».

توتر فم اليخاندرو: «أتظنين هذا؟».

قال ذلك وهو يتأمل وجهها المتوهج عدة ثوانٍ طويلة محطمة

www.elromancia.com

للأعصاب. ثم انحدرت نظراته إلى خاتم الخطوبة في إصبعها: «أخبرني إدوارد بأن هناك رجلاً جديداً في حياتك».

رجلاً جديداً؟ لم تعرف آبي ما يعنيه ذلك، ولكن لم يكن في نيتها أن تدخل في حديث عن حياتها الخاصة. وقد صعب عليها أن تصدّق أن إدوارد يخبره بشيء.

قالت محاولة أن تظهر أي اهتمام: «إسمع، لما كل هذا؟ وأرجوك لا تخبرني بأنك مهتم بما أفعل. لقد فات الوقت قليلاً على محاولتك العثور على ضميرك».

ـ ضميري؟.

بدت عليه الحيرة لصراحتها: «أنا واثق من أن أخاك أخبرك بأنني لا أملك شيئاً كهذا. لكنك، يا آبيغايل... مختلفة عن إدوارد، وأنا ما زلت أراك جذابة. أرجو أن لا يتملكك الشك في هذا».

أسكت آبي الذهول. أتراه تكهن بالسبب الذي جعل إدوارد يحتال لإحضارها إلى هنا؟ ولكن، إذا كان الأمر كذلك، هل يعني هذا أن ثمة شيئاً من الحقيقة في ما قاله إدوارد؟ هل ثمة علاقة بينه وبين لورين حقاً؟ وقالت متلعثمة: «أنا.. أخي أصيب في حادث اصطدام. وهذا هو السبب الوحيد لوجودي هنا».

قال بتحفظ: «هذا قولك أنت. لكن أخاك لديه برنامج آخر لك كما أظن».

فابتلعت ريقها: «لا أدري ماذا تعني».

قالت هذا، غير واثقة من أنها تريد حقاً أن تعلم.

ـ إصابة إدوارد مجرد كسر ولا يمكن أن يهدد حياته. وأظنك ستوافقينني على ذلك.

قالت متوترة: «أصابته صدمة عنيفة وكان يمكن أن يُقتل...».

فقاطعها بنبرة خالية من الاحساس، ما ذكرها بخطيبها: «لكنه لم يُقتل. المعذرة يا أبيغايل، لكن حياة أخيك محفوظة بتعويذة بحيث لا

يمكن أن يهددها سائق سكران. كان الاصطدام حادثاً سيئاً لكنه ليس خطيراً. السيارة تضررت، لكنها لم تتحطم نهائياً».

نهضت آبي. مهما تكن توقعات إدوارد منها، لم تعد تحتمل المزيد من هذا. هل يعلم اليخاندرو لماذا أحضرها إدوارد إلى هنا، أم هو يتكهن فقط؟ ولماذا شعرت بمثل هذا الحزن، عندما أصرّ على أنه ما زال مهتماً بها، بينما هذا بالضبط ما يريده أخوها؟.

ـ أرجو المعذرة...

قالت هذا دون اهتمام باستئذانه. لكن اليجاندرو لم يكن قد انتهى منها بعد. حاولت أن تدور حول المائدة، لتسرع صاعدة الدرجات إلى الشرفة، لكنه اعترض طريقها: «لن تذهبي الآن، فنحن لم ننته من حديثنا بعد. آبيغايل، إذا لم تحصلي على نتيجة طيبة فلن يعجب هذا إدوارد».

مع أنه قال هذا ببراءة، فقد رأت آبي تحذيراً في قوله هذا، فقالت: «كيف تجرؤ؟».

كانت من الغضب بحيث وجهت إليه صفعة من دون وعي منها. لكن يده كانت أسرع في الإمساك بمعصمها مبعداً يدها دون جهد، وهو يقول بنعومة: «لا أظن هذا عملاً حكيماً. إذا كان أخوك يريد عوني، فعليك أن تتصرفي بشكل أفضل، يا عزيزتي. أنا آسف لاضطراري إلى استعمال هذه الوسائل، يا آبيغايل، لكنني لم أضع القوانين بنفسي».

***

٣ ـ هل تصبح . . . صديقي؟

عادت بذهنها إلى الماضي، إلاّ أن آبي لم تستطع أن تتذكر كيف استطاعت أن تبتعد عن اليخاندرو من دون أن تُمس كرامتها. أول ما خطر لها هو أن تفلت معصمها من يده وتفر هاربة. ولكن، رغم الألم الذي لم تستطع السيطرة عليه تماماً، وجدت الشجاعة لكي تواجهه. وعندما أصبح واضحاً أنها لن تجيبه، فتح أصابعه وأطلقها.

لكن الأمر لم ينته، وهي تعلم ذلك. ورغم أنه تركها تذهب من دون كلمة أخرى، إلا أنّ ثمة شيء يدور هنا، شيء تجهله هي. وقد أصبحت متلهفة إلى الحديث مع إدوارد لتعرف ما هو.

على كل حال، لم تنجح في ذلك. لم تعرف إن كان أخوها قد علم بمواجهتها اليخاندرو ذلك الصباح أم لا، لكنه منذ ذلك الحين أصبح مراوغاً بشكل يثير الشكوك.

بعد أن غسلت وجهها المتوهج في غرفتها، أدركت أن الاختباء لن ينفعها. حتى لو انضم اليخاندرو إلى الأسرة على الفطور، عليها أن تكون هناك إذ كيف ستتمكن من الانفراد بأخيها إذا كانت لا تعرف الجناح الذي يقيم فيه؟.

استجمعت شجاعتها أخيراً وهبطت إلى الطابق السفلي، لكنها لم تجد أحداً. قادتها الخادمة إلى مائدة من الخيزران وكرسي قائمتين في ظل الأعمدة وأخبرتها أن السيد اسكويفال غادر إلى مكتبه.

لم تجد أثراً لاليخاندرو أيضاً، وهذا ما أشعرها بالارتياح. وعندما سألت عن أخيها وزوجته قالت لها الخادمة إنهما يتناولان الفطور عادة، في جناحهما.

كان عليها أن تتقبل الأمر وتتناول البيض المقلي مع اللحم الذي قدمته لها الخادمة. ورغم مخاوفها، وجدت أنها تكاد تموت جوعاً. وعزّت نفسها بأن السبب هو أن هذا الوقت في وطنها هو بعد الظهر.

ولكن ، مع انتهاء الطعام، شعرت بالفراغ لبقية فترة الصباح. وبسبب توتر أعصابها لم تشعر برغبة في الذهاب إلى البحيرة. حتى أنّ فكرة أخذ حمام شمسي بجانب البحيرة ذكرتها بما حدث معها هناك منذ ساعتين فقط. وإلى أن يقرر إدوارد أن يواجهها، لم يكن أمامها سوى انتظاره بفروغ صبر.

عادت إلى غرفتها وقد قررت أن تخرج ملابسها من حقيبتها، مدركة أن موعد سفرها لن يكون اليوم. وبعد ساعة عادت تهبط إلى الطابق السفلي حيث أخذت تذرع الشرفة ذهاباً وإياباً وهي تتساءل متى سيشرفها إدوارد بزيارته. وما لبثت أن انضمت إليها دولوريس. وقفت عند عتبة الصالون تنظر إلى آبي بشيء من التردد وكأنها لا تعرف تماماً ما عليها أن تفعل. ولاحظت آبي أنها ترتدي ثياب الخروج.

قالت آبي تحييها بأدب وهي تلعن أخاها مرة أخرى لوضعها في هذا الموقف: «صباح الخير. إنه نهار جميل».

ـ نعم، أليس كذلك؟

أجابت دولوريس من دون أن تنظر إلى السماء الصافية، ثم أضافت بلهجة وديّة: «هل كل شيء على ما يرام؟».

على ما يرام بقدر ما تسمح به هذه الظروف، كما أخذت آبي تفكر بجفاء. لكنها قالت بلهجة مماثلة: «نعم، شكراً لك».

شعرت أن عليها أن تقول شيئاً آخر، فأضافت: «أرجو ألا تظني أني

www.elromancia.com

وقحة لحضوري إلى هنا، سيدة اسكويفال. كنت حقاً قلقة... على أخي».

هزّت دولوريس رأسها: «أنا واثقة من أنك كنت كذلك. نحن أيضاً كنا قلقين عليه، لكنه يتحسن والحمدلله. ونحن جميعاً نرجو له شفاءً سريعاً».

قالت هذا بحرارة تبديها لأول مرة. فقالت آبي شاكرة لتفهمها: «نعم، وأنا... وأنا أنتظره الآن».

فهتفت مضيفتها بدهشة: «لكنه ليس هنا. ظننتك تعرفين. اقتحم اللصوص شقة إدوارد ولورين الليلة الماضية. وقد ذهبا برفقة الشرطة للتحقق من المفقودات».

ـ لا! تعرض للسرقة؟ هل تعرض أحد للأذى؟.

هتفت آبي بهذا شاعرة بالخجل من نفسها للومها أخيها لإهماله لها.

ـ لم يكن هناك أحد لحسن الحظ. والشرطة تنتظر أن يخبرهم إدوارد ولورين عن المفقودات. تعلمين أن الأجهزة الكهربائية تجذب اللصوص دوماً، ولدى إدوارد جهاز بالغ التطوّر للتسلية في غرفة النوم.

هزّت آبي رأسها: «هل يمكنني أن أساعد بشيء؟».

ـ لا أظن ذلك. إذا كان هناك أي تخريب، فلويس سيعمل على إصلاحه. ولكن علينا طبعاً أن نقرر ما إذا كان المكان آمناً فيما لو عادت لورين إليه. سنفكر في ذلك عندما يقف إدوارد على قدميه مرة أخرى.

لاحظت آبي أن دولوريس تهتم بلورين أكثر من اهتمامها بأخيها. ولكن هذا طبيعي لأن لورين وحيدتها الغالية عليها.

ـ أتساءل متى سيعودان.

تمتمت بذلك لنفسها أكثر مما هو للمرأة الأخرى، ولكن يبدو أن دولوريس سمعتها فقالت مفكرة: «ليس لدي فكرة».

بدا وكأنها أدركت لتوّها أن ليس بإمكانها أن تترك ضيفتها: «ربما، من الأفضل أن تأتي معي، آبيغايل. لديّ موعد مع الخيّاط عند الساعة

الحادية عشرة والنصف. ولكن بإمكاننا بعدئذ أن نتغدى معاً. ثمة مطعم كوبي قريب يطهي طعاماً لذيذاً من سرطان البحر».

وكوّرت يدها ثم قبّلت رؤوس أصابعها في حركة تنم عن استحسانها لذلك الطعام، ثم أخذت تتأمل قميص آبي وبنطلونها القصير: «عليك أن تغيري ملابسك، أتحبين أن تري بعض معالم مدينتنا؟».

أرادت آبي أن ترفض دعوتها. كانت متلهفة إلى التحدث مع إدوارد، ولم يكن في نيتها أن تجعل الآخرين يشعرون بالمسؤولية نحوها. لكن لم يكن بإمكانها التحجج بالتعب، فلم تجد عذراً للرفض: «أنا... ليس عليك أن تقلقي لأجلي».

قالت هذا في محاولة أخيرة لتجنب الخروج، لكن دولوريس بدت عنيدة، فقالت بإصرار وهي تلقي نظرة ثانية على مظهر الفتاة: «هذا من دواعي سروري. هل يكفيك ثلث ساعة لتغيير ملابسك؟».

ليس تماماً، كما أخذت آبي تفكر وهي تبحث بين ملابسها التي سبق وعلقتها. مهما لبست، فهي ستبدو طويلة خشنة بجانب دولوريس الصغيرة الحجم. لماذا لم تدّع أن لديها صداعاً؟

لكن هذا لم يحدث ولم يبق أمامها سوى ربع ساعة لتلبس. لو كانت ستخرج وحدها لبقيت بالبنطلون القصير والقميص، لكن من الواضح أن دولوريس تظن أن هذه الثياب غير مناسبة للخروج إلى المدينة. وهكذا لم يبق... سوى ماذا؟ ثوب بحمالتي كتفين كالمعكرونة، لكن دولوريس ستعتبره غير مناسب أيضاً. وماذا عن البنطلون مع بلوزة دون أكمام وسترة من الشامواه تبنية اللون؟ أخيراً، ظفر باختيارها البنطلون والسترة، ثم فكت ضفيرتها ومشطت شعرها على كتفيها.

ألقت نظرة أخيرة على صورتها في المرآة قبل أن تغادر الغرفة. بدت البلوزة القرمزية اللون مشدودة على صدرها والبنطلون القطني التبني اللون محكماً على مؤخرتها. لكن لم يكن لديها حيلة في ذلك، وفكرت في

www.elromancia.com

أن السترة سوف تغطي كل ذلك، رغم أنها ستشعرها بالحرّ.

لم تكن النظرة التي ألقتها دولوريس عليها مشجعة، لكن آبي تجاهلتها وقالت بابتسامة مرغمة: «أنا جاهزة».

قالت هذا مدركة أن ثمن ما ترتديه دولوريس يساوي ثمن كل ما لديها من ملابس: «تبدين رائعة».

ـ شكراً يا عزيزتي. هل نذهب؟.

أجابت دولوريس وهي بادية الرضى رغم أنها لم تبادلها الثناء بالمثل. سارت بهما سيارة دولوريس إلى سوق صغير للمشاة. وكانت دولوريس تقودها بنفسها وفزعت آبي لعدد الأخطاء التي وقعت فيها دولوريس أثناء تلك الرحلة القريبة نسبياً.

تملك آبي الارتياح عندما وصلتا إلى مقصدهما. خرجت من السيارة لتنضم إلى المشاة شاعرة بأنها محظوظة للبقاء على قيد الحياة. وإذ رأت أن الجوّ لا يسمح بتلك السترة فوق ملابسها خلعتها. لاحظت، وهما تجتازان موقف السيارات، أن دولوريس ترمق ذراعيها العاريتين بنظرة مشككة، لكن آبي تجاهلتها. لم تكن تريد أن تحرجها، لكنها ليست معتادة على حرارة الجوّ.

توجهت المرأتان إلى سوق المشاة، وهناك بدت دولوريس أكثر عزماً على التخلص من صحبة آبي، إذ قالت لها: «أنا واثقة من أن بإمكانك أن تسلّي نفسك بينما أقصد أنا الخيّاط. أليس كذلك يا آبيغايل؟».

ـ طبعاً.

أجابتها آبي وهي تتنفس الصعداء، شاعرة بالارتياح، للانفراد قليلاً بنفسها: «سنتقابل في السيارة إذا أحببت. ليس عليك أن تأخذيني إلى الغداء إذ يسعدني أن أعود إلى المنزل».

فكّرت دولوريس لحظة، ولكن رغم أن اقتراح آبي بدا مغرياً بالنسبة إليها، إلا أن التهذيب منعها من قبوله. فقالت بحزم: «هراء. أنا متشوّقة إلى ذلك».

بدا واضحاً أن هذا غير صحيح لكنها تابعت: «يقع المطعم في نهاية المنتزه. فلنتقل... بعد نصف ساعة... موافقة؟».

ـ لا بأس.

لم يكن بإمكان آبي أن ترفض إذا كانت دولوريس تريد أن تكرّمها. وما لبثت المرأة أن ابتعدت بسرعة، وهي تتأرجح قليلاً على كعبَي حذائها العاليين. كان الشارع مليئاً بواجهات الخياطين ومصممي الأزياء اللذين يبيعون كل شيء، من الملابس الراقية التفصيل إلى المعدات والملابس الرياضية، وقد ألصق على كل قطعة ثمنها. بدت الأسعار بالنسبة لآبي بعيدة كل البعد عن إمكانياتها.

ولكن بما أن بإمكانها دوماً أن تتفرج على الواجهات، أخذت تتلكأ أمامها متوقفة بين حين وآخر لتتأمل قطعة مجوهرات أو ثوب سهرة غير عادي، مذكرة نفسها بجفاء أن لا فائدة من السؤال عن الأسعار إذ لا يمكنها الدفع.

وجدت في المكتبة مهرباً مرغوباً من عالم الثراء إذ بإمكانها على الأقل دفع ثمن كتاب. وكان ممتعاً أن تجد روايات وكتباً لمؤلفين لا تعرفهم. أمضت فترة من الوقت في تفحص الكتب على الرفوف، ما بين روايات بوليسية ومسرحيات مثيرة. وتساءلت عما إذا كان بإمكانها إن تشتري كتابين كهدية لروس. وعندما نظرت إلى ساعتها وجدت أنها تأخرت. تباً لذلك! وضعت الكتب التي كانت تفكر بشرائها من يدها وأسرعت خارجة من المكتبة. ما زال عليها أن تعثر على المطعم. ماذا قالت لها دولوريس؟ إنه في آخر الشارع؟.

تملكها الارتياح عندما وجدت المكان من دون صعوبة. لا بد أن الحظ يبتسم لها هذه المرة، كما أخذت تفكر وهي تقف خارج المطعم غير واثقة أين يمكنها أن تجد دولوريس. لقد تأخرت سبع دقائق فقط لكنها لم تجد أثراً للمرأة الأخرى. لعلها لم تصل بعد!

بدا المطعم فخماً، لكنها كانت تتوقع ذلك. فهي تعلم أن دولوريس

تهتم كثيراً بالمظاهر. ربما عليها أن تعود فترتدي سترتها، ولو لإرضائها فقط.

كانت تفكر بالذهاب إلى غرفة الاستراحة، عندما انتبهت إلى أن ثمة من يراقبها. لقد وقف الرجل الذي كان يمرّ بباب المطعم الزجاجي وأخذ ينظر إليها. وعندما التفتت إليه مستعدة لإلقاء نظرة باردة مثبّطة عليه، أدركت، للمرة الثانية هذا النهار، أن اليخاندرو فاجأها بوجوده. تسارع نبضها على الفور. أما الرطوبة التي كانت تشعر بها على رقبتها، فقد امتدت الآن إلى منبت شعرها.

ـ مرحباً، آبيغايل. ها نحن نلتقي مرة أخرى.

بدت تحيته مهذبة تماماً، لكنها تكهنت بأنه تذكر مواجهتهما هذا الصباح، وبدا مستمتعاً بما ظهر عليها من عدم الارتياح. وردت عليه بابتسامة باهتة: «هذا ما يبدو».

قالت هذا بلهجة متوترة وهي تتساءل أين دولوريس. قالت تلك المرأة إن عليهما أن تتقابلا خارج المطعم. إنها حتماً لم ترسل اليخاندرو بدلاً منها. قطب اليخاندرو حاجبيه وقال برقة: «أرجو المعذرة، ولكن أتراك تنتظرين أحداً؟ إدوارد مثلاً».

نظرت إليه آبي ثم تمنت لو أنها لم تفعل. إذ أن نظراته الحادة أثارت فيها الاضطراب، وعلى الفور شعرت بالضعف إزاءه. قد تكرهه، قد تحتقره لمعاملته لها، لكنها لن تتمكن من تجاهله أبداً. وكان هو يدرك ذلك، تباً له! إنها ترى هذا في عينيه.

ـ أنا . . . لا، ليس إدوارد.

قالت هذا باختصار، متمنية لو يتركها ويذهب، لكنه ألحّ عليها، شاعراً بالتسلية لاحمرار وجهها: «من تنتظرين إذن؟ ما الذي يحدث يا آبيغايل؟ من المؤكد أنك لست خائفة من أن تخبريني؟».

ـ خائفة؟.

وعادت تنظر إليه، غاضبة من تفكيره هذا: «لا، أنا لست خائفة

طبعاً سيد فارغا. أنا أرجو فقط أن تتركني وشأني. أنا لست لورين ولا يغرّني اهتمامك بي، ولا اهتمام أي رجل يظن أن أمواله تمنحه الحق في أن يحصل على ما يريد».

أظلم وجه اليخاندرو: «بحق الله، آبيغايل. . . هذا لا يمكن الصفح عنه».

ـ أحقاً؟.

أدركت آبي بتعاسة أنها تجاوزت حدودها. إدوارد يريدها أن تكون مهذبة مع هذا الرجل، أن تقنعه بأن يترك لورين وشأنها، بدلاً من أن تبذل جهدها في كسب عدائه.

أخذ اليخاندرو نفساً عميقاً ثم قال وهو ينظر إلى ساعته: «يبدو أنك مصممة على أن تظني بي الأسوأ. الساعة الآن الواحدة والربع تقريباً. أقترح أن تسمحي لي بأن أدعوك إلى مائدتي إلى أن يأتي. . . مرافقك».

زمّت آبي فمها وهي تفكر في أن ساعته تبدو عادية بالنسبة إلى شخص مثله. قد تكون ذهبية لكنها ليست مبهرجة كساعة روس.

ـ ولماذا ينبغي أن أفعل ذلك؟.

سألته هذا شاعرة بالتعاسة بسبب أفكارها تلك، وأخذ جسدها ينضح بالعرق. ولا بد أنه لاحظ ذلك، فقال وهو ينظر إليها بغموض: «ليس من الحكمة بالنسبة لامرأة مثلك أن تقف في شارع عام وحدها. لو كنت أختي لما أسعدني أن أراك وحدك. أنا أحاول فقط أن أساعدك. وأتوقع من أخيك أن يفعل الأمر نفسه لأجلي».

أبدت إشارة تنبيء عن عجزها: «لكنني لا أنتظر إدوارد».

فنظر إلى فمها بشكل واضح: «لا؟ هذا قولك أنت».

ثم ابتعد وهو يتابع: «دعوتي ما زالت قائمة».

ترددت آبي، ثم قالت بسرعة: «أنا بانتظار السيدة اسكويفال، دولوريس. من المفترض أن تصل في أي لحظة».

التوت شفتا اليخاندرو بسخرية: «وكنت خائفة من قول هذا؟».

ونظر إلى مدخل المطعم حيث رأى الباب يُفتح ويدخل منه رجل يرتدي السواد: «وهذا هو ميغيل دي برازوس، رئيس النادلين. اسمحي لي أن أقدمك إليه».

فأطلقت زفرة وبدأت تقول: «لا أظن...».

لكن أصابع اليخاندرو ارتفعت إلى ما فوق مرفقها. شعرت بها باردة على جسمها الحار، ولم تستطع أن تجبر نفسها على الابتعاد. في حالتها هذه أي احتكاك بينهما سيجعلها مرتبكة. اعترفت بهذا، شاعرة بشيء من الدوار عندما جرها اليخاندرو نحو الرجل.

بدا واضحاً أنه ودي برازوس يعرفان بعضهما البعض جيداً. وكان حديثهما معاً بلغتهما أسرع من أن تفهمه، فمعلوماتها باللغة الاسبانية محدودة جداً واليخاندرو يعلم ذلك. وتملكها الارتياح عندما تقدم الرجل منها ليحييها باللغة الإنكليزية. قال وهي ينحني باحترام: «أهلاً وسهلاً بك سنيورا. أنت تنتظرين السنيورا اسكويفال، أليس كذلك؟ سأدع أحد رجالي يقف خارجاً بانتظارها».

تحولت عينا آبي إلى عيني اليخاندرو، لكنه هذه المرة لم يكن ينظر إليها، فاضطرت إلى الحديث عن نفسها: «هذا لطف بالغ منك...».

وشعرت بألم مفاجيء عندما ترك اليخاندرو ذراعها.

ـ بكل سرور.

قال دي برازوس هذا، متخذاً جوابها دليلاً على قبولها دعوته. ثم سار أمامها إلى المطعم. نظرت آبي إلى خلفها، لكنها لم تجد أثراً لدولوريس. لم تجد خلفها سوى اليخاندرو وقد عادت ملامحه غامضة مرة أخرى. ما الذي يفكر فيه؟ أخذت تتساءل، عندما انفتح الباب الزجاجي ودخلوا إلى الردهة المنعشة البرودة والمظللة بالنخيل. أيفكر في أن دي برازوس نجح حيث فشل هو؟

قادهما الرجل إلى مائدة في الجانب الآخر من المطعم الأنيق. كانت مائدتهما تطل على فناء داخلي جميل حيث توجد نافورة تضخ ماءها في

حوض مزخرف تنمو الأزهار حوله بغزارة.

سألها دي برازوس، الذي يبدو أنه يريد أن يخدمها بنفسه: «ما الذي يمكن أن أقدمه لك سنيورا؟».

عضّت آبي شفتها مفكرة. وأخيراً، قالت: «شاي مثلّج فقط، من فضلك».

رفع الرجل حاجبيه ثم استدار إلى مرافقها: «وأنت سنيور؟».

ـ أريد شاياً مثلجاً أنا أيضاً.

أحنى الرجل رأسه بأدب، وراح يصدر الأوامر للنادلين. بعد ذهابه، ساد الصمت عدة لحظات، ثم شعرت آبي أن عليها أن تقول شيئاً، فتمتمت: «هذا مطعم جميل جداً. ولا بد أن هذه أحسن مائدة فيه».

ـ أنا مسرور لأنه أعجبك.

ـ ولم لا يعجبني؟.

شعرت بشيء من الدوار. لكنها طمأنت نفسها إلى أنّ ذلك من آثار رحلتها بالطائرة أو ربما بسبب الحرارة. وتأملت سترتها بتردد: «أتظن أن عليّ أن ألبس هذه؟».

فنظر إليها بحدّة: «لماذا؟ هل تشعرين بالبرد؟».

ـ لا.

نظرت حولها، ولاحظت بعدم ارتياح ملابس الزبائن الفخمة، وأضافت: «أدهشتني رغبة دولوريس في إحضاري إلى هنا».

فرفع حاجبيه: «وما الذي يمنع...؟».

نسيت آبي لحظة مع من تتكلم، وقالت: «هيا. ألم تلاحظ تلك الأساور الماسية وعقود اللؤلؤ وخواتم الياقوت؟ أنا ألبس خاتماً وسلسلة ذهبية عاديين من الذهب وقرطين من معدن رخيص. وأنا واثقة من أن صاحبك ميغيل يعرف قيمتها»!.

هزّ اليخاندرو رأسه: «لعله يدرك أنك لست بحاجة إلى سوار ذهبي

وعقد من اللؤلؤ لكي تظهري جمالك. وأنا لا أحتاج إلى من يذكرني بأنك تلبسين خاتم رجل آخر. ماذا تريدينني أن أقول آبيغايل؟ إنك ما زلت أكثر النساء اللواتي عرفتهن جاذبية؟».

فتوهج وجهها: «لا. أنت تعلم أنني لم أكن أعني شيئاً كهذا».

ثم انتبهت إلى أن صوتها ارتفع ما جعل الناس يلتفتون إليهما، فهمست بحرارة: «لا تقل لي مثل هذا الكلام. فنحن الإثنان نعلم كم هي مجاملات غير مخلصة».

وضع اليخاندرو مرفقيه على المائدة: «أحقاً هي كذلك؟ ألا يسرّ إدوارد أن يعلم أنني ما زلت منجذباً إليك؟».

حبست آبي أنفاسها: «أنت لا تعلم ما يريده إدوارد».

قالت هذا بعنف وهي تغطي وجهها براحتيها متسائلة عما جعلها توافق على القدوم إلى هنا. أين دولوريس؟ لم تظن قط أنها ستكون متلهفة بهذا الشكل لرؤية جماة أخيها. لكنها فعلاً كذلك.

ـ أنا أعلم أنه لم يطلب مجيء أخته الكبرى، حاميته ونصيرته، لكي تجلس بجانب سريره.

قال هذا بجفاء فزفرت بعجز، ثم أجابت بحدة ملقية نظرة أخرى ناحية المدخل: «إذن، فأنت تعلم أكثر مني».

ماذا تفعل دولوريس؟ كم يستغرق قياس هذا الثوب؟.

ـ أنت كاذبة لا تحسنين الإقناع، يا عزيزتي.

قال هذا وهو يعود فيستند إلى كرسيه ما جعلها تشعر بشيء من الارتياح. ثم فتح أزرار سترته، ومدّ ذراعه بإهمال على ظهر كرسيّه: «لكننا لن نضيّع الوقت في الجدل بشأن أخيك. أخبريني عن نفسك آبيغايل. أو.. أخبريني لماذا تتناولين الغداء مع دولوريس؟ لم أكن أعلم أنكما صديقتان حميمتان».

ـ نحن لسنا كذلك.

خرجت هذه الكلمات قبل أن تستطيع منعها، فسارعت تفسر ما

تعنيه: «شعرت دولوريس بالشفقة عليّ ففكرت بدعوتي إلى الغداء بدلاً من... أن أبقى في البيت بانتظار إدوارد. ستكون هنا حالاً».

قطب اليخاندرو جبينه: «تنتظرين إدوارد؟ ولماذا أهملك أخوك اليوم؟».

فتنهدت: «لم يكن هناك».

اعترفت بذلك كارهة إذ لم تكن تريد أن تفضي إليه بشيء: «إنه... إنه... يبدو أنه خرج مع لورين».

ـ خرجا؟.

ثم عاد يقول معتذراً: «عفواً، ظننته لا يستطيع الخروج».

ـ نعم، لا يستطيع. ليس لمسافة بعيدة، على أيّ حال.

لم يقل شيئاً، وإذ أدركت أنها لا يمكن أن تتجنب ما لا بد منه، قالت باختصار: «اقتحم اللصوص شقتهما، وقد ذهبا برفقة الشرطة لتحديد المسروقات».

بدا الانتباه على اليخاندرو: «ومتى حدث هذا؟».

سألها بحدة فنظرت إليه متذمّرة: «الليلة الماضية».

وتشاغلت بطيّ سترتها على حجرها: «لماذا؟ هل تعرف شيئاً عن ذلك؟».

قالت هذا تستفزه. وتوقعت إنكاراً غاضباً، لكن جوابه أجفلها: «ربما!».

وأخذ يسويّ ربطة عنقه الفضية مكرراً: «ربما!».

تلهّت قليلاً بمراقبة أصابعه الطويلة السمراء وهي تلامس القماش الأبيض. كانت واثقة من أنها إذا نظرت في عينيه، فسيرى في عينيها نظرة اتهام. وتملكها الارتياح وهي ترى النادل متوجهاً نحوهما. فقالت مسرورة بالمرطبات إذ كان فمها جافاً للغاية: «أظن ذلك شرابنا».

وضع النادل كأسي الشاي المثلّج ثم التفت إلى اليخاندرو يسأله إن كان يحب أن يرى قائمة الطعام. أومأ برأسه مجيباً: «نعم، شكراً».

www.elromancia.com

انحنى النادل وابتعد فرفعت آبي كأسها على الفور. بدا الشراب البارد منعشاً للغاية. أغمضت عينيها لحظة، وشعرت بالتحسن بسرعة، فعادت وفتحت عينيها. وإذا بها تعدل عن رأيها وهي ترى اليخاندرو يراقبها.

ـ كنت عطشى.

وكادت تقفز مجفلة عندما مد إصبعه يمسح قطرة من الشراب عن زاوية فمها.

ثم قال بصوت أجش: «ربما ستسمحين لي بدعوتك على العشاء غداً مساءً. عندئذ يمكننا أن نتابع هذا الحديث».

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تجيب: «لا أظن ذلك».

ـ لماذا لا؟.

ـ أنا... أنا لا أريد ذلك. كما أنني لا أظن أن خطيبي سيوافق.

ـ هذا لم يزعجك من قبل، كما أذكر.

قال هذا بشكل غامض، ولكن قبل أن تجيبه سمعت صوت خطوات سريعة، فالتفتت. وكانت هذه دولوريس... طبعاً، ومن سواها؟

أطلقت آهة بينما وقف اليخاندرو ليحيي ابنة خاله.

ـ يا عزيزي.

هتفت المرأة بذلك وهي تمسك بيديه وتتقدم لتطبع قبلات في الهواء بجانبي وجهه: «ما الذي تفعله هنا؟».

وألقت نظرة إتهام سريعة على آبي: «عندما أخبرني ميغيل أنك تجلس مع ضيفتي لم أستطع أن أصدق ذلك. أظنك أخبرتني بأن لا وقت لديك لتناول الغداء».

فقال يؤنبها برقة: «ما كنت لتقبلي بأن أترك آبيغايل واقفة أمام المطعم، دولوريس. بدت ضائعة».

قال هذا وعيناه تواجهان بعزيمة نظرات آبي المحبطة: «وماذا كان بإمكاني أن أفعل سوى أن أعرض عليها صحبتي كبديل غير كفوء لك؟

كنا ننتظر وصولك بقلق».

ـ آه، اليخاندرو.

إن شعرت دولوريس بأي نوع من الضيق لرؤيتهما معاً فقد بددت كلماته أي استياء تملكها: «أنت كريم الطبع! وأرجو أن تكون آبيغايل قد قدرت لك هذه الشهامة».

ـ آه، أنا واثق من هذا!.

قال هذا وهو ينظر مرة أخرى إلى آبي ساخراً، ثم عاد يلتفت إلى ابنة خاله قائلاً: «ولكن، أخبريني يا عزيزتي، ما الذي سمعته عن اقتحام اللصوص لشقة لورين؟ أخبرتني آبيغايل. هل سمعت شيئاً جديداً؟».

وشرعت دولوريس تتكلم بالإسبانية فلم تميّز آبي من الحديث سوى أسماء لويس اسكويفال وإدوارد ولورين. بدا واضحاً أنها لم تشأ أي مقاطعة من الفتاة الإنكليزية، ما جعل آبي تقول ببراءة: «في الواقع، قال السيد فارغا إنه ربما يعلم شيئاً عن ذلك».

سكتت دولوريس على الفور وأخذت تحدق إلى الفتاة: «ماذا؟».

قالت هذا ببلادة فشعرت آبي بسرور غير معقول وهي ترى لمحة الضيق الخاطفة التي علت وجه اليخاندرو. فكررت بعينين متسعتين: «قال السيد فارغا إنه ربما يعلم شيئاً عن السرقة. هذا ما قلته أنت، أليس كذلك يا سيد فارغا؟».

ـ قصدت أنه ربما كان هناك ما يمكنني القيام به للمساعدة، يا عزيزتي.

أجاب بنعومة وهو يعود إلى دولوريس بابتسامة مطمئنة: «ربما أساءت الآنسة آبيغايل تفسير رغبتي في المساعدة».

ورمق الفتاة متحدياً قبل أن يضيف: «فهي تعلم مقدار وَلَعي بلورين... وبإدوارد أيضاً».

عندما عادت آبي إلى البيت، كان إدوارد بانتظارها. كان جالساً على الشرفة في ظل الأعمدة، مادّاً ساقه المصابة أمامه على وسادة فوق مقعد.

www.elromancia.com

وعندما برزت إليه أخته، نظر إليها غاضباً: «في أي جهنم كنت؟».

بادرها بذلك على الفور قبل أن تتمكن من التفوه بكلمة، ففتحت فمها ذاهلة إزاء هذا الاتهام في صوته. وأخيراً قالت: «ذهبت لتناول الغداء. أشفقت عليّ جماتك ولم تشأ أن أمضي الصباح وحدي في المنزل».

ـ وكأن ذلك سيصبح مأساة، أليس كذلك؟.

سألها هذا وقد ازداد بروز النمش على بشرة وجهه الشقراء. فبشرته، بعكس بشرة آبي، لا تحتمل الشمس. بدا وجهه ناصع البياض: «أنت لم تأت إلى هنا لكي تختالي في الشوارع مع دولوريس، يا آبي. وكما ذكّرتني الليلة الماضية، هذه ليست عطلة».

حدّقت آبي إليه ساخطة وهتفت: «أتظنني حقاً متلهفة للخروج مع دولوريس؟».

ونظرت خلفها بسرعة خوفاً من أن يسمعها أحد، ثم أخفضت صوتها: «لم تخبرني أين كنت يا إدوارد. في الواقع، تملكني شعور بأنك تبتعد عن طريقي».

هل بدا شيء من الخزي على وجه إدوارد حقاً أم أن مخيلتها صوّرت لها ذلك؟.

ـ ولماذا أفعل هذا؟.

سألها، متشاغلاً بتسوية الوسادة تحت ساقه: «ما الذي قالته لك دولوريس؟ إنها لم تحبني قط، كما تعلمين. بالنسبة إلى أسرة اسكويفال، لم يعتبروني قط مناسباً لابنتهما».

هزّت آبي رأسها: «دولوريس لم تتحدث عنك».

قالت هذا متضايقة لمحاولته إثارة عطفها مرة أخرى: «وبعد ما طلبته مني الليلة الماضية، لا يدهشني أن تحاول أن تتجنبني. ولكن لا تظن أنك تخدع اليخاندرو. إنه يعلم ما تحاول أن تفعله».

لم يعد ثمة شك الآن في اضطراب إدوارد. وسألها بفتور: «هل يعلم؟ وكيف علمت ذلك؟».

وجعل نفسه على الانتصاب في كرسيه ما جعل المقعد الذي يضع ساقه عليه يهتزّ: «هل رأيته؟».

ـ نعم.

كانت على وشك أن تخبره بأنه جاء إلى البيت هذا الصباح، لكن إدوارد لم يسمح لها بالاستمرار: «أين رأيته؟ هل كانت دولوريس موجودة عندما تحدث عني؟».

وتصبب العرق من جبينه: «رباه، إذا اكتشفت أسرة اسكويفال ما يجري، فأنا ميت حتماً».

تملك آبي الاضطراب بوضوح. إذا كانت لورين على علاقة بأحد فهي التي تستحق تعنيف والديها وليس إدوارد.

إلا إذا...

تأملت وجه أخيها القلق، ثم خطر لها فجأة أنه لم يكن صادقاً معها. ولكن ما الذي لا يخبرها به؟ وما الذي يعرفه اليخاندرو ويخاف هو أن يثير أسرة اسكويفال ضده؟.

ورأت أنّ الوقت ليس مناسباً للبحث في هذا الأمر، فسحبت كرسياً جلست عليه بجانبه، ثم قالت محاولة أن تبدو متفائلة: «قالت دولوريس إن اللصوص اقتحموا شقتك. هل هناك تلف كبير؟ وماذا أخذوا؟».

ـ وماذا يأخذون عادة؟ لعلهم مدمنون على المخدرات، يبحثون عمّا بإمكانهم بيعه ليشتروا العقّار.

ـ هل هذا ما تظنه الشرطة؟.

ـ وكيف أعرف ما يظنونه؟ لا أحد يخبرني بشيء.

ولم يبدُ الاهتمام على إدوارد، بل تابع يقول: «فلنعد إلى فارغا. متى تحدثت إليه؟ هل دعا نفسه على الغداء معك ومع جماتي البهيّة؟».

هزّت آبي رأسها. لماذا يبدو على إدوارد القلق البالغ مما يمكن للرجل الآخر أن يقوله؟.

وأخيراً أجابت، مصممة على ألا تذكر زيارته الأولى إلى البيت:

www.elromancia.com

«لقد... التقينا خارج المطعم. فجلس معنا لتناول الشراب وهذا كل شيء... ولكن ...لماذا هذا كله، يا إدوارد؟ إذا كانت لورين على علاقة بأليخاندرو، فلماذا تشعر أنت بالاضطراب مما قد يظنه والداها؟ فالذنب ليس ذنبك».

التفت إليها بسرعة، وهتف وهو يمسك يدها بأصابع تنضح بالعرق: «هل هي على علاقة بفارغا؟».

جذبت يدها منه بنفور: «أنت من قال ذلك. من الأفضل أن تكون صادقاً معي، إدوارد. لماذا أنت خائف بهذا الشكل من اليخاندرو؟ هل هذا بسبب لورين فقط؟».

ظهر عليه التصلب، ثم حملق فيها بغضب: «وماذا يمكن أن يكون غير ذلك؟ كما أنني لست خائفاً من فارغا... بل مما قد... يفعله».

- بزواجك؟.

- وماذا غير ذلك؟ على أيّ حال، لماذا قلت إنه يعلم ما أفعله؟ ماذا قال ليجعلك تظنين هذا؟.

فهزّت كتفيها: «لا أتذكر».

إذا كان إدوارد مراوغاً، فهي ستفعل مثله. مع أنها تمنت لو لم تبدأ قط هذا الحديث. فإدوارد يكذب عليها وهي واثقة من ذلك تقريباً. والآن، ربما عليها أن تتحدث إلى اليخاندرو نفسه.

بدا الاستياء على إدوارد، لكنها لم تشعر بميل إلى مراضاته: «سنتحدث فيما بعد. سأراك بعد قليل».

حاول أن يمسك بيدها: «انتظري».

لكنها تجنبته وأسرعت إلى داخل المنزل حيث ركضت صاعدة إلى غرفتها.

اتصلت آبي بروس قبل نزولها إلى العشاء. وكانت قد أمضت بقية الوقت في غرفتها وهي تراجع ما قاله اليخاندرو وردّ فعل أخيها تجاه ذلك. بدا موقف اليخاندرو غامضاً، أما موقف إدوارد فبدا دفاعياً. أم

لعله كان خشية وتوجساً؟ لا شك أنه شعر بالانزعاج عندما أخبرته أن اليخاندرو تناول شراباً معهما، هي ودولوريس. لم تعد تتذكر الآن ما قاله اليخاندرو بالضبط، لكن، بدا في كلماته نوع من الوعيد. ما الذي حدث بينهما وسبّب تباعدهما هذا؟.

هل هي السبب؟.

لا، لأن إدوارد لا يعرف شيئاً عما حدث بعد أن عادت إلى انكلترا. لورين؟ وهذا أيضاً لم تستطع قبوله. تغار؟ وهل ما تزال تحمل له مشاعر حتى بعد كل ذلك الزمن؟.

لا!.

التفكير في اليخاندرو دفعها لأن تتصل بخطيبها مرة أخرى. كانت متلهفة إلى نصيحة من روس... لعل صوته الهادىء العقلاني يهدىء من هذا الاضطراب والفوضى في المشاعر التي تتملكها. أجابها على الفور فتملكها الارتياح، وهذا يعني أنه جالس إلى مكتبه. ليتها معه هناك.. كما أخذت تفكر.

بعد أن أعلن اسمه قالت له ببهجة: «هذا أنا يا روس، أرجو ألا يكون لديك مانع في أن أتصل في هذا الوقت المتأخر؟».

- إنها الحادية عشرة فقط يا آبي.

أجابها بحدة ولهجته لا تبشر بالخير: «كنت أتوقع اتصالاً منك. لا بدّ أنك تريدين أن تعتذري على طريقة كلامك معي هذا الصباح».

أمسكت آبي أنفاسها. لقد نسيت الجدل الذي دار بينهما حينذاك. غرقت في مشاكل إدوارد إلى حد تجاهلت معه حقيقة أنها ربما جرحت خطيبها. ولكن كان عليها أن تعلم أنه لن ينسى. فقالت بأسف: «نعم، ما كان لي أن أقول ما قلته، وأنا آسفة. لكنني كنت قلقة بشأن إدوارد، كما تعلم».

- هم...

ولم يبدُ في لهجته ما ينبىء بأنه قبل هذا العذر. وتابع يقول:

www.elromancia.com

«وهكذا، ما الذي يجري الآن؟ هل رتبت أمر عودتك إلى الوطن؟ أم أن هذا سؤال صعب؟».

وتمنت لو أنه أكثر تفهماً. إنها بحاجة إلى مساندته وليس إلى تعنيفه.

ـ حدث المزيد من التعقيد.

فشخر ساخراً: «دعيني أتكهن. حدث لإدوارد نكسة عاطفية؟».

فقالت وهي تجاهد للسيطرة على غضبها: «لا. لقد تعرضت شقتهما للسرقة الليلة الماضية. وهذا ليس ما يحتاج إليه الآن».

فقال بفروغ صبر: «لا أصدق ذلك، هذا الرجل مصيبة تسير على قدمين يا آبي، أو.. هو حالياً، مصيبة لا تستطيع السير».

ـ هذا ليس مضحكاً روس. ألا يمكنك أن تبدي شيئاً من التعاطف؟

ـ أنا أحاول فقط أن أكون عملياً.

وكان على آبي أن تعترف أن هذا هو سبب اتصالها به، فهي تريد أن تسمع آراء روس العملية. لكن من المؤسف أنها بدت باردة للغاية حين صيغت في كلمات.

ـ ومع ذلك...

بدت لهجتها دفاعية. وكأن روس أحس بضعفها، فغيّر طريقته وقال برقة: «أنا أفكر فيك فقط، يا حبيبتي. أنا واثق من أنّ الشرطة تسيطر الآن على الموقف. وعليك أن تتذكري أن لدى إدوارد زوجته ووالديها يساندونه. أنا بحاجة إليك يا آبي. أنا أفتقدك حقاً».

فقالت بلهجة آلية رغم انشغال فكرها: «وأنا أفتقدك أيضاً، لكنني لا أستطيع العودة قبل أن أتأكد من أن إدوارد يمكنه مواجهة كل شيء».

ـ مواجهة ماذا؟.

بدا صوت روس عالياً فأدركت أن لا سبيل لتبرير بقائها هنا. إنه لا يعرف اليخاندرو. لا يعرف شيئاً عما حدث في آخر مرة زارت فيها أخاها. كل ما يعرفه هو أنها مرضت بعد عودتها من عرس إدوارد إلى

درجة عجزت معها عن التدريس لعدة أسابيع.

تنهدَت وهي تشعر بالضياع: «امنحني فقط عدة أيام، روس. فأنا لم أتحدث إلى لورين بعد. كانت الأحداث محمومة اليوم بحيث لم نجد وقتاً للحديث».

فقال غير مصدق: «للحديث؟ أتراك تحاولين أن تخبريني أنك تريدين البقاء لأنكما، أنت وزوجة أخيك، لم تجدا وقتاً بعد لتبادل الحديث؟».

ـ طبعاً لا.

ـ بل يبدو أن الأمر كذلك.

فقالت متعبة: «حسناً، آسفة إذا كان الأمر يبدو كذلك. على أيّ حال، أنا باقية هنا إلى ما بعد العطلة الأسبوعية على الأقل. سأتصل بك غداً إذا كان لدي مزيد من الأخبار».

بقي روس صامتاً. وظنت في البداية أنه لن يقول شيئاً آخر. لكنه تنهد بضجر: «أرجو أنك تعرفين ما تفعلينه، يا آبي، لا يبدو لي منطقياً أن يستدعيك إدوارد كلما سارت الأمور معه على غير ما يهوى».

نعم، إنه غير منطقي، كما أخذت تفكر بتعاسة، بعد أن أنهت المخابرة. إنها عاجزة دوماً عن المقاومة فيما يتعلق بأخيها، وهو يعلم هذا. لكنها هذه المرة قلقة عليه حقاً. حتى الإصابة التي سببها له حادث الإصطدام، بدت حادثة تافهة بالنسبة إلى كل ما تبقى.

كانت على وشك الدخول إلى الحمام عندما رن جرس الهاتف. وتكهنت بضجر أنه روس. لقد اضطرت إلى أن تعطيه هذا الرقم ولعله يتصل ليلحّ عليها بالعودة.

رفعت السماعة قائلة: «لا بأس. هذا أنا».

وإذا بالسماعة تكاد تسقط من يدها وهي تسمع صوتاً مختلفاً: «هل يفترض بي أن أشعر بالغرور لأنك تتوقعين مكالمتي؟».

سألها اليخاندرو هذا برقة، فتملكتها فجأة رجفة من الإثارة.

www.elromancia.com

وابتلعت ريقها: «سيد فارغا!».

فقال بجفاء: «نحن نعرف بعضنا بعضاً إلى حد يجعلنا لا نتعلق بالرسميات».

فتنفست بعمق: «ماذا تريد اليخاندرو؟».

سألته باختصار فسمعت آهة آسفة: «أبهذه البرودة يا عزيزتي؟ هل هذا ما فعله بك رجلك الإنكليزي؟ كانت حيويتك فيما مضى بالغة».

ـ بينما أنت . . .

وسكتت قبل أن تقول شيئاً لا يحتمل الصفح. ثم عادت تقول بحزم: «لماذا اتصلت بي، اليخاندرو؟ ألا تخشى أن تثير فضول الأسرة؟».

فأجاب بدون اكتراث: «ولماذا أهتم بما يظنه أقاربي؟ لست مضطراً إلى أخذ إذن منهم لكي أتكلم مع صديقة قديمة».

ـ لم نكن صديقين قط اليخاندرو ولا أدري لماذا تفعل هذا، لكنني أتمنى لو تتركني وشأني.

قالت هذا بقنوط، فتردّد: «أحقاً؟ هل هذا ما يريده أخوك أيضاً؟».

فشهقت: «دع إدوارد خارج هذا الموضوع».

تنهد بأسف: «لا أستطيع، لسوء الحظ. ألم يطلب حضورك لأنه يرجو أن تنجحي حيث فشل هو؟».

فتصلّب جسمها: «فشل؟ فشل في ماذا؟».

بدا وكأن اليخاندرو يستمتع باضطرابها: «أنت لا تعلمين . . ظننت . . .».

ـ أعلم ماذا؟.

ـ هذا ما عليّ أن أعلمه وعليك أنت أن تكتشفيه. ولهذا . . . ستتعشين معي غداً مساءً وعندئذ نتابع هذا الحديث، أليس كذلك؟.

ـ لا!.

ـ بل أظنك ستأتين يا عزيزتي.

قال هذا برقة. ومرة أخرى أحست بتلك الوخزة من توقع الخطر التي أحست بها عند البحيرة: «لا تغضبيني يا آبيغايل، لأن أخاك لن يعجبه ذلك. على أيّ حال، هو يريدنا أن نصبح . . . صديقين».

ارتجفت يداها وتمنت لو تقفل الخط في وجهه. إنها ليست نداً لرجل مثل اليخاندرو، فهي لا تعرف ماذا بإمكانه أن يفعل. قالت كارهة ونبرة التوسل في صوتها: «أرجوك، أخبرني لما هذا كله؟».

فقال بعناد من دون أن تعلم إن كان ما سيقوله وعداً أم وعيداً: «غداً مساءً. سأخبر لويس ودولوريس بأننا تحدثنا عن نزهة بحرية على الغداء اليوم، وأنني عرضت عليك أن أريك يختي. قد . . . يدهشان، ولكن هذا لا يعنيك. اتفقنا؟».

قالت متنهدة: «أنا ضيفتهما، لا يمكنني أن أتناول العشاء معك. ماذا سيظنان؟».

فقال ساخراً: «على الأقل لم تعودي ترفضين التفكير في دعوتي لك. دعي التفاصيل لي، يا عزيزتي. سأتصل بك غداً. إلى اللقاء».

* * *

٤ ـ الوقوع في الشرك

كان نهب الشقة الموضوع الرئيسي في الحديث الذي دار أثناء العشاء. ورغم أن إدوارد أبدى سابقاً مله من الموضوع، إلا أنه أخذ الآن يتحدث عنه باهتمام كالآخرين تماماً. ربما لأن لورين ووالديها يتوقعون منه ذلك، كما أخذت آبي تفكر متأملة، مدركة أن آراءها أصبحت لاذعة ساخرة تجاه دوافع أخيها. قالت لورين بحرارة: «على الأقل لم يخرّب اللصوص المكان».

ثم التفتت إلى أخت زوجها: «ربما تحبين أن تأتي غداً وتري ما حدث. الصندوق الموسيقي والتلفزيون سرقا طبعاً، لكن بقية الشقة بحالة حسنة».

وقبل أن تجيب آبي، قال أبوها: «وهذا يعني أنهم لم يأخذوا سوى الأغراض التي يمكنهم بيعها بسهولة. أغلب الظن أنهم أولاد يبحثون عما يبيعونه كي يشتروا المخدرات».

فقالت لورين بإصرار وهي تنظر إلى زوجها: «لا أظن أنهم أولاد. ما كان بإمكان الأولاد أن يدخلوا المنزل من دون أن يرن جرس الإنذار».

فسألها إدوارد هازئاً: «ماذا تظنين الأمر إذن؟ ضربة معلم محترف؟».

ـ هذا ممكن.

لم يثبّط قوله هذا من عزيمة لورين. أما آبي فقد ساورتها الشكوك

وبدا أن إدوارد يتجنب عيني أخته.

وقالت الأم: «أنا لست سعيدة على الإطلاق بعودة لورين إلى الشقة. ألا توافقني على ذلك يا لويس؟ ما دام اللصوص قد استطاعوا الدخول مرة، فربما يدخلون مرة أخرى».

فوافقها الأب: «هذا صحيح. ما رأيك يا آبيغايل؟ هل سمعت المثل الذي يقول إن المجرم غالباً ما يعود إلى مسرح الجريمة؟ خصوصاً إذا ظنوا أن شركة التأمين دفعت ثمن استبدال المسروقات».

لم تكن آبي مسرورة لوضعها في هذا الموقف غير المستحب، خصوصاً وهي تشتبه بأن لأخيها أسبابه الخاصة التي تجعله يريد العودة إلى بيته. لكن لويس كان بانتظار جوابها، فهزت كتفيها: «لقد سمعت ذلك المثل أنا أيضاً، ولكن، ربما إذا وضعتم جهاز إنذار جديد...».

ونظرت إلى لورين متعاطفة. فقالت هذه على الفور: «هذه فكرة جيدة يا آبي. فإذا كانوا مراهقين كما يظن إدوارد، ربما لن يزعجونا مرة أخرى».

ـ هذا ما أظنه.

قال إدوارد هذا فتساءلت آبي عما يجعله حريصاً على تخفيف أهمية هذا الحدث. هل لديه شيء يخفيه؟ من المؤكد أنه ليس هو الذي تدبّر أمر سرقة الشقة.

وما إن وضعت آبي مثل هذه الأفكار جانباً بحزم، حتى اختارت عمة لويس أن تساهم في الحديث هي أيضاً: «لماذا لا ننتظر جميعاً رأي الشرطة؟ أنا واثقة من أن آبيغايل لا تحب أن تمضي عطلتها بالحديث عن مشكلتنا الصغيرة هذه».

وسكتت لحظة ثم عادت تقول: «كيف تستمتعين بعطلتك هنا؟ أخبرتني دولوريس أنكما تناولتما الغداء معاً في مطعم «تيرازا». أتعلمين أنني كنت أعمل في تيرازا؟ عندما كنت شابة طبعاً».

وابتسمت.

ـ ن . . . عـ . . . م .

مطّت هذه الكلمة بشكل لم يطمئن آبي، ثم تابعت: «نحن سعيدان بما يكفي، كما أظن. رغم أن هذه السنة لم تكن سهلة بالنسبة إلينا».

أومأت آبي متفهمة: «نعم، أظن أن حادثة الإصطدام كانت صدمة عنيفة».

ـ هذا صحيح.

وتناولت لورين كوب القهوة من الخادمة قبل أن تتابع: «ولكن ليس هذا ما عنيته».

ـ ليس هذا؟.

وكانت آبي منتبهة إلى أن أخاها يراقبها فبللت شفتيها: «آسفة، لم أقصد التطفل».

ترددت لورين ثم قالت: «هذا ليس ذنبك. أظن أنه ما كان ينبغي أن أقول لك شيئاً، لكنك أخت إدوارد ولك الحق في أن تعرفي».

تساءلت آبي عما إذا كانت فعلاً تريد ذلك. إذا كان الأمر يتعلق بأليخاندرو، فهي لا تريد أن تعلم. ولكن بأي طريقة غير هذه ستتمكن من معرفة الحقيقة؟ وشعرت بأن لورين لن تكذب عليها.

ـ هل قال لك هو شيئاً؟.

سألتها لورين فلم تعرف آبي ماذا تجيب. فتمتمت مراوغة: «لم نجد فرصة نتحدث فيها معاً بسبب حادثة اقتحام الشقة وغير ذلك».

ـ طبعاً.

وأحاطت لورين الفنجان بأصابع متوترة: «وأظن أنّ الأمر ليس سهلاً عليه ليخبرك».

بدا وكأن الأمر يتطور من سيء إلى أسوأ. ونظرت آبي إلى أخيها، مدركة بضيق، أنها ربما أساءت الحكم عليه في بعض الأمور. بدا وكأن لورين تريد أن تخفف من وقع الخبر عليها. هل لورين على علاقة بأحد؟ وإذا كان ذلك صحيحاً، فمع من؟.

ـ ما تعنيه عمتي إيلينا هو أن أسرة زوجها كانت تملك مطعم تبرازا.

قالت دولوريس هذا باختصار، وقد بدت قلقة من أن تأخذ آبي فكرة خاطئة عن الأمر. ثم نظرت إلى المرأة معنفة: «من المؤسف جداً أنهم باعوه. فهو يدر أرباحاً طائلة، أليس كذلك؟».

فقالت العجوز بحماسة: «المال ليس كل شيء يا دولوريس. وأظنك تنسين هذا أحياناً».

ـ أنا لا أنسى شيئاً يا عمتي.

قالت دولوريس هذا بقوة ثم قرعت الجرس بجانب صحنها بشكل آمر، وعندما جاءت الخادمة أخذت تتحدث إليها بسرعة بالأسبانية. وبعد أن رفعت الخادمة الأطباق، قالت: «هل نذهب إلى الصالون؟ طلبت من أنيتا أن تحضر القهوة إلى هناك».

عندما دخلوا جميعاً الصالون، وجدت آبي فرصة للتحدث إلى لورين. كانت الفتاة الأصغر سناً قد جلست على الأريكة المحاذية للمدفأة. وترددت آبي قليلاً قبل أن تجلس بجانبها. لم يبد على إدوارد السرور لاختيارها الجلوس بجانب زوجته، ولكن لم يكن ثمة مناص من ذلك. ما كان عليه أن يخبرها أن لورين على علاقة باليخاندرو إذا كان يريد أن يبقي ذلك سراً. كما أن آبي لا نيّة لديها أن تسألها عن ذلك، فكل ما تريده هو أن تجد فرصة تمكنها من أن تختبر بنفسها ماذا يجري بالضبط في حياة أخيها الزوجية.

لورين أيضاً أبدت بعض الدهشة عندما جلست آبي، ولكنها كانت أكثر تهذيباً من أن تعترض. بل على العكس، فقد سألت آبي عن خطوبتها، مبدية إعجابها بالخاتم، ثم اقترحت أن تأتي مع روس إلى فلوريدا لقضاء شهر العسل.

قالت آبي بمرح وهي تدركِ جيداً أن روس لن يوافق أبداً على فكرة كهذه: «يبدو أن الوقت مرّ بسرعة منذ تناقشنا في أمر شهر عسلك، يا لورين. لكنني أظنكما اعتدتما الحياة الزوجية الآن».

وقالت بسرعة: «ليس . . . لست مضطرة لأن تخبريني إذا كنت لا تريدين ذلك. صدقيني، أنا . . .».

فقالت لورين بحزم: «لكنني أريد أن أخبرك. ربما ستفهمين مشاعري أكثر من أخيك، خصوصاً وأنك على وشك الزواج».

أرادت آبي أن تقول لها إن لا داعي لذلك، لكن فمها كان من الجفاف بحيث لم يسمح لها بأكثر من ابتلاع ريقها بصوت مختنق. اعتبرت لورين سكوت آبي دليل موافقة. فوضعت فنجانها من يدها وقالت بهدوء: «لدينا، أنا وإدوارد، بعض المشاكل الشخصية».

آه، لا. أصبحت آبي الآن مقتنعة بأنها لا تريد أن تسمع المزيد: «في الحقيقة . . . لا أظن أنني الشخص الذي تحتاجين إلى التحدث إليه».

ألقت لورين عليها نظرة قصيرة وهي تفكر، ثم قالت برقة: «ربما. نسيت أن الأمور تختلف في بلدك . . . أليس كذلك؟».

لم تعرف آبي ما عنته بذلك، لكنها رأت أن من الحكمة ألا تسأل. من الواضح أن لورين لم تستطع أن تتحدث في هذا الأمر مع أمها وأبيها. ومع ذلك، ما الذي يجعلها تعتقد أن أخت زوجها قد تنظر إلى سلوكها بتعاطف أكبر؟ هذا ما لم تعرفه . . . أو لا تريد أن تعرفه. يكفيها أن إدوارد يلقي بمشاكله على كتفيها، فهي لا تريد أن تحمل مشاكل لورين أيضاً.

ـ هل أخبرتك أن اليخاندرو تناول الشراب مع أمك وآبي أثناء الغداء؟.

ألقى إدوارد هذا السؤال على لورين بعد أن عبر الغرفة نحوهما وجلس على الأريكة بجانب زوجته. وتابع يقول: «إنه مولع جداً بآبي. لقد تعارفا أثناء عرسنا، كما تعلمين».

نظرت إليه زوجته بعينين ضيقتين: «لا. أنت لم تخبرني بذلك».

قالت هذا بشيء من الحذر، ثم التفتت إلى آبي: «لم أكن أدرك أنك تعرفين اليخاندرو جيداً بهذا الشكل».

فقالت آبي باختصار، وهي تتساءل عما يرمي إليه إدوارد الآن: «لا. لا أعرفه جيداً. إدوارد يبالغ».

فقال بغيظ: «لا أظن ذلك. فقد بدا مسروراً جداً لتجديد تعارفكما بالأمس، كما أتذكر».

اخترقت عينا آبي عينيه وقالت: «كان ذلك مجرد تهذيب من السيد فارغا وهذا كل شيء».

ثم تذكرت أنها سوف تتناول العشاء مع اليخاندرو الليلة القادمة، فلعنت إدوارد من جديد لأنه زجّها في هذا الموقف وشدت قبضتيّ يديها وتابعت تقول: «أنت تعرفه أكثر مما أعرفه».

فقال متحدياً: «أحقاً؟ لا أظن ذلك. ولا يدهشني على الإطلاق إذا ما رغب في رؤيتك قبل رحيلك».

توهج وجه آبي ارتباكاً. هل كان يتكهن فقط بأن اليخاندرو يتصل بها؟ لم تستطع أن تعرف شيئاً من ملامحه، ولم تعرف ما إذا كان عليها أن تكون مسرورة أم آسفة. اختارت دولوريس تلك اللحظة لكي تأتي وتجلس معهم، ثم وضعت يداً على كتف ابنتها برفق وهي تسألها: «من يريد أن يراك، عزيزتي؟».

فنظرت لورين إلى أمها بشيء من التشكك، ثم قالت بتوتر: «ليس أنا ماما، بل آبيغايل. كان إدوارد يخبرني لتوّه بأن اليخاندرو تناول الشراب معكما أثناء الغداء».

ـ حسناً، نعم. لقد فعل ذلك. لكنني لا أفهم ماذا تقولين؟

وقطبت جبينها.

خنقت آبي آهة. رغم أن إدوارد زوّدها بفرصة طيبة لتخبرهم بكل شيء عن دعوة اليخاندرو، إلا أنها لم تستطع أن تتكلم. ليس بعد ما أخبرتها به لورين لتوّها. وليس بعد أن اعترفت عملياً بأنها على علاقة برجل آخر.

وإذا بإدوارد يقول: «كنت أقول لتوّي إن . . . اليخاندرو . . .»،

ورغم أن آبي بدت مذعورة لجرأته، إلا أنها شعرت بالجهد الذي بذله للنطق باسمه، فيما تابع: «. . . قد يجب أن يرى آبي مرة أخرى قبل أن ترحل».

تساقطت كلماته في صمت مفاجىء، كما تتساقط الحصى في بحيرة هادئة: «ما رأيك، حبيبتي؟».

ووضع يداً متملكة على ذراع زوجته وكأنه يتحدى حماية أمها لها: «ألم يتملكك شعور بأنه مسرور بشكل غير عادي لرؤيتها، ذلك النهار؟».

فاعترضت دولوريس قائلة قبل أن تستطيع ابنتها أن تتكلم: «لكن آبيغايل تكاد لا تعرف اليخاندرو».

ـ لقد أمضيا بعض الوقت معاً عندما جاءت آبي لحضور العرس.

قال إدوارد هذا متجاهلاً نظرة التحذير التي رمقته بها أخته، ثم تابع: «بعد طلاقه أصبح الوضع مختلفاً، ولم يعد هناك سبب يمنعهما من أن يكونا صديقين».

بدا عدم الرضى على دولوريس وقالت بتوتر: «اليخاندرو رجل مشغول. وعلى آبيغايل أن لا تنخدع بسحره الظاهر».

والتفتت إلى آبي: «آسفة إذا بدا ما أقوله قاسياً، يا آبيغايل. لكن اليخاندرو لا يستطيع أن يمنع نفسه من العبث مع النساء».

وأرغمت نفسها على أن تبتسم ابتسامة تلطّف بها من كلماتها قبل أن تضيف: «إنه أحياناً شرير وعفريت جداً. لكنه، مع ذلك، يعاملنا جميعاً بشكل جيد».

ـ ليس جميعنا، ماما.

اعترضت لورين على كلامها وهي تنظر إلى زوجها. وتساءلت آبي إن كان هذا اعترافاً ضمنياً بذنبها أم هو شيء آخر.

ـ ونحن لا نعلم رأي اليخاندرو في آبيغايل فنحن لسنا موضع سره.

وحوّلت عينيها السوداوين إلى أخت زوجها: «ربما علينا أن نسألها

هي».

لم تتوقع آبي هذا، فأجابت بسرعة: «أنا أيضاً لست موضع سره. وكما تقول أمك، أنا أكاد لا أعرفه».

وأنا لا أحب ما يحصل الآن، كما أكملت بصمت، متمنية أن يتوقف إدوارد عن إحراجها: «هل لديكم مانع من أن أقول: تصبحون على خير الآن؟ كان يومي شاقاً، كما أن جسمي ما زال يتجاوب مع توقيت لندن».

أمضت آبي الصباح التالي مع لورين وأمها في زيارة للشقة المسلوبة.

بدا أن المرأتين تظنان أن حديث الليلة الماضي عن اليخاندرو لا يتطلّب مزيداً من الإيضاح. ولم تستطع آبي أن تمنع شعوراً بالاستياء تملكها وهي تراهما تنبذان أي اتصال بينها وبين اليخاندرو.

وهذا لا يعني أنها تريدهما أن تظنا أنها منجذبة إليه. إن لديها ما يكفي ليشغلها عن ذلك، كما أخذت تؤكد لنفسها بحزم.

بغض النظر عن أن الشقة كانت مرشوشة بمسحوق يظهر بصمات الإصابع إلا أنها بدت جميلة ومنعشة البرودة. فقاعة الجلوس واسعة ومفتوحة على إحدى الشرفات. وسرعان ما أشارت لورين إلى أن بالإمكان رؤية الحدائق الاستوائية وحوض بناء السفن من النوافذ. وقد ألحق بقاعة الجلوس مطبخ صغير بكل تجهيزاته. لكن آبي تكهنت من مظهره بأن أخاها وزوجته نادراً ما يطهوان في البيت.

أبدت لورين حماسة بالغة بالنسبة إلى العودة إلى الشقة: «إنه بيتنا».

قالت هذا لآبي وهي تريها غرفة النوم الرئيسية بسريرها البالغ الاتساع. وأرتها التلف الذي حدث عندما انتزع اللصوص الأجهزة الموسيقية من الخزانة، مضيفة أن إصلاحه سهل، ثم قالت بحزم: «كما أنني أعرف أن إدوارد لا يحب أن يُسكن في منزل والديّ».

وافقتها آبي على ذلك، أما دولوريس، فراحت تدور في أنحاء الغرفة وهي تظهر أسفها، ثم هتفت بعنف: «لا يمكنك أن تفكري في العودة إلى

www.elromancia.com

هنا، لورين. تصوري أن هذا حدث وأنت هنا بمفردك. كان يمكن أن يقتلوك في سريرك».

ـ وربما ما كانوا ليحاولوا الاقتحام لو كنا هنا. ربما حدث هذا لأن الشقة خالية. من يدري؟ ربما ذكر أحدهم في المطعم أن إدوارد تعرّض لحادثة وأننا نقيم معك ومع بابا حالياً.

جلقت دولوريس فيها بفروغ صبر، ثم نظرت إلى آبي وكأنها تلومها لقول ابنتها هذا. ثم قالت بتوتر: «حسناً، أظن أن على أبيك أن يشتري لك شقة أخرى في هذا الحي قريبة من بيتنا».

ـ أنا لست طفلة ماما.

وعادت لورين إلى غرفة الجلوس، ثم مرّت بيدها على غطاء الأريكة الحريري: «عدا عن آثار أقدام موحلة، فإن الشقة لم تُمس. من الواضح أنهم كانوا على عجلة من أمرهم ولم يأخذوا إلا ما بإمكانهم بيعه».

كادت آبي تميل إلى موافقتها على ذلك عندما رأت جهاز كمبيوتر غالي الثمن على رف بجانب النوافذ المستطيلة. من المؤكد أن اللص ما كان ليترك جهاز كمبيوتر محمولاً خلفه إلا سهواً أو تغاضياً، وهذا ممكن، لكنه غريب. وقررت أن تسأل إدوارد عن رأي الشرطة في ذلك.

ـ لا أظن أن علينا أن نناقش الأمر حالياً.

قالت دولوريس هذا وهي تتبعهما إلى غرفة الجلوس لتتابع: «ما زال الوقت مبكراً جداً للتفكير في ذلك. من غير المحتمل أن يتمكن إدوارد من السير من دون مساعدة قبل عدة أسابيع».

والتفتت إلى آبي تطلب مساندتها كما يبدو: «على الرجل أن يكون صالحاً تماماً لحماية نفسه وأسرته، خصوصاً بعد ما حدث. ألا توافقينني؟».

نظرت آبي إلى لورين ثم أشارت بيدها بعجز، وهي تقول بارتباك: «هذا ما أظن. ولكن إدوارد وزوجته هما اللذان يقرران متى يريدان العودة إلى بيتهما. أنا متفهمة لقلقك هذا، ولكن إذا كانت الشرطة

راضية...».

فردّت والدة لورين بضيق: «الشرطة لا تعلم الكثير، ربما هناك من يريد أن ينتقم من إدوارد، من يدري؟».

شعرت آبي بالبرودة تسري في ظهرها لسماعها هذا. ودون إرادة منها تقريباً، عادت بها الذكرى إلى اليخاندرو وعنفه المتفطرس. أتراه وراء هذا؟ رباه، ستتناول العشاء معه مهما كانت مشاعرها فهي تريد أن تعلم ما الذي يجري.

تملّك آبي الذعر عندما وجدت أن اليخاندرو ينتظرهن عندما عدن إلى الفيلا. كان يجلس مع لويس على الشرفة، يستمتعان بشرب العصير البارد. وعندما ظهرت النسوة الثلاث وقف الرجلان احتراماً. حيّت دولوريس وابنتها اليخاندرو بحماسة بالغة، وهذه حالة اعتادت آبي على رؤيتها. وإذا كانتا قد لاحظتا، مثلها، غياب إدوارد، فقد شغلهما الترحيب الحار بضيفتهما من أن تعلّقا على ذلك. سألته لورين بلهفة إن كان سيبقى على الغداء وهي لا تزال ممسكة بيده. وعندما التقت نظرات آبي بنظرات اليخاندرو من فوق كتف لورين، رأت السخرية تلمع في عينيه. هل جاء فقط للحديث عن العمل مع لويس؟ أم أن لديه دافعاً آخر؟ مثل التأكد من أنها لن ترفض دعوته؟.

ـ لا، مع الأسف.

أجاب لورين وتناول كوب العصير وأفرغه في جوفه بجرعة واحدة ثم أعاده إلى المائدة: «في الواقع، جئت إلى هنا لأسأل آبيغايل إذا كانت تتكرم وتأتي معي هذا المساء لكي تتفرج على يختي. بعد الصدمة التي تلقتها عند سماعها بإصابة أخيها، واقتحام شقته بعد ذلك، ربما ترغب ببعض التسلية».

زمّت آبي شفتيها، ورأت المرأتين تلتفتان إليها وتتأملانها. كيف فكرت بأن اليخاندرو قد يترك قرار قبول دعوته أم عدم قبولها لها هي؟ إنه رجل حازم وهي تعلم هذا. كما أنه عديم الضمير، ولكن أكثر ما

جعلها تشعر بالإحباط هو أنها لن تجرؤ على الرفض.

ـ حسناً، أنا...

وسكتت تبحث عن كلمات مناسبة تقولها، فقاطعتها لورين: «أظننا جميعاً سنستمتع بنزهة بحرية عند المساء».

قالت هذا معبرة عن الفكرة التي خطرت للتو ببال آبي ثم أردفت: «أفترض أننا مدعوون أيضاً. لا أدري بالنسبة إلى زوجي، لكنني أحب أن أذهب بكل تأكيد».

وإذا بصوت إدوارد يقول فجأة: «هل نسيت يا عزيزتي أننا سبق والتزمنا بالبقاء في البيت هذا المساء؟».

واستدارت آبي لتجد أخاها مستنداً إلى أحد الأعمدة التي تلتفّ حولها عريشة العنب. بدا واضحاً أنه يستمتع بدهشتهم. وابتسم لزوجته بلطف، ثم سار نحوهم مستنداً إلى عكازيه. وبنظرة جانبية إلى آبي، تابع يقول بنعومة: «أعتقد أن أمك أخبرتني أن عمك وعمتك سيتناولان العشاء معنا اليوم، يا لورين. وأنا أعرف أن العمة ستكون في غاية الاستياء إذا كانت ابنة أخيها المفضلة غائبة».

زمّت لورين شفتيها: «نسيت ذلك».

وبدت عليها خيبة الأمل، ثم التفتت إلى أمها: «ألا نستطيع أن نلغي زيارة العمة والعم أرنستو؟ ذلك أن آبيغايل سترحل قريباً، ومن العار أن نحرمها من هذه الفرصة لرؤية يخت اليخاندرو».

قال إدوارد على الفور: «أنا واثق من أن اليخاندرو جدير بالثقة في رعاية أختي دون حارسة ترافقها».

فتمنت آبي لو أن لديها الجرأة لتخبر أخاها بأن يبقى بعيداً عن شؤونها. لكن المشكلة هي أنها كانت تعلم أن عليها الذهاب. عليها أن تعرف ما يريده اليخاندرو. أن تعلم ما يجري حقاً.

وإذا بدولوريس تقول مظهرة العطف: «ربما تفضل آبيغايل أن تمضي المساء مع الأسرة».

لكن لويس اختار أن يقف بجانب إدوارد، فقال: «أنا واثق أن صديقي سيفضل أن نسمح لآبيغايل بأن تقرّر بنفسها».

تمنّت آبي لو أن بإمكانها أن ترفض، ولكن لم يكن لها خيار في ذلك: «أنا... يبدو أنها ستكون نزهة ممتعة».

قالت هذا راجية أن يسمع اليخاندرو وإدوارد السخرية في صوتها. فتمتم الرجل الكوبي بلهجة مهذبة: «أطمئنك إلى أن هذا ما سيحصل. هل نقول السابعة من هذا المساء؟ سأرسل سيارة لتأخذك».

بقيت آبي دهراً وهي تحاول أن تقرر ما الذي ستلبسه. وتمنت الآن لو أنها اغتنمت فرصة الذهاب إلى السوق مع دولوريس واشترت لنفسها شيئاً مناسباً. لكنها، حينذاك، لم تكن تعلم أن اليخاندرو سيأخذها في نزهة بحرية. أتراها ستصاب بدوار البحر؟ خبرتها مع السفن مقتصرة على قوارب النزهة البخارية وعبّارات القناة.

تمنت لو تستطيع ارتداء أحد الثوبين اللذين أحضرتهما معها، لكن ذلك لن يكون مناسباً. آخر ما تريده هو أن يظن اليخاندرو أنها فضلت الثوب الجميل على الملابس العملية، حتى لو كانت في أعماقها، تفضل أن تبدو بمظهر حسن.

حدّثت نفسها بأن ما يظنه بها غير مهم، واختارت البنطلون القصير، وقد بدا مناسباً الآن. تذكرت أنه غالي الثمن وقد استاء روس منها قليلاً لإسرافها. فهو من الحرير الأخضر، بحزام مؤلف من سلاسل ذهبية تتدلى حول وركيها. ومع أنه يبدو رسمياً أكثر من اللازم، لكنه مثالي بالنسبة إلى ما تريده هذه الليلة.

أما البلوزة فهي من الكريب الأسود برباط يعقد حول رقبتها. لم تستطع أن تنكر مبلغ جمالها في هذا اللباس.

تأففت باشمئزاز، وأمسكت بجانبي الرباط تريد أن تخلع البلوزة من فوق رأسها. ما هذا؟ الساعة السابعة إلا ربعاً. وما زال عليها أن تضع أحمر الشفاه وتضع اللمسات الأخيرة على شعرها.

ـ من هناك؟.

نادت وهي تقف مترددة أمام المرآة، ثم أغمضت عينيها محبطة عندما دخلت الخادمة التي قالت وقد اتسعت عيناها دهشة وإعجاباً معاً: «كارلوس السائق ينتظر يا سنيورا. هل ستأتين؟».

تنهدت آبي باستسلام: «بعد دقيقتين ولن أتأخر».

أدركت أن الوقت لن يسمح لها بتغيير ملابسها. فعادت وهي تكبح شتيمة، إلى علبة مستحضرات التجميل. حسناً، لقد التزمت الآن، وعليها أن تقبل بمصيرها.

عندما نزلت إلى الطابق السفلي، كان إدوارد في الردهة وكأنه يريد أن يتأكد من أنها لن تخلف الموعد. وتمنت لو أنها لبست بنطلون جينز وقميصاً مقفلاً، بدلاً من أن تشعر بالرضى ينضح من خلاياه وهو يهتف باستحسان: «إنها الطريقة المثلى، يا آبي. لن يعلم فارغا ما ينتظره».

لم يكن مزاجها يسمح لها بالمزاح، فقالت بحدة: «إكبر يا إدوارد. كما أرجو أن لا يكون ثمة أكثر مما أخبرتني به».

فقال عابساً: «لا أدري ماذا تعنين. كل ما قلته هو إنني أرجو أن تستمتعي بأمسيتك، وأنا واثق من ذلك. إذا كان هناك شيء يحسنه فارغا، فهو منح المرأة وقتاً جميلاً».

ـ وأنت تعلم كل شيء عن هذا، أليس كذلك؟ لا تقل شيئاً آخر إدوارد، فلا زال بإمكاني أن أدّعي بأن لديّ صداعاً شديداً يمنعني من الخروج.

كانت تعلم طبعاً أنها لن تفعل ذلك. لا تستطيع، وهو يعرف ذلك أيضاً. لكن هذا لم يمنعها من الاستمتاع بحيرته.

سرّها أن أحداً من آل اسكويفال لم يرها عندما عبرت الردهة إلى الباب المفتوح. اضطرت لأن تنتعل حذاءها الخفيف مرة أخرى، لغياب أي بديل عنه. وأخذ كعباها العاليان يقرعان الأرض الرخامية ولكن، لحسن الحظ، لم يبدُ أن هناك من لاحظ ذلك.

في الخارج كان الجوّ رطباً. لو أنها خارجة مع روس، أو حتى إدوارد، كما أخذت تفكر بأسف، لشعرت بالمتعة أكثر مما تشعر الآن.

ولكن . . . هل هذا صحيح؟

سرعان ما أبعدت هذه التأملات الغادرة وهي تحيي كارلوس الذي أمسك بباب سيارة الليموزين المفتوح لتصعد.

وبعد أن أغلق الباب خلفها وجلس خلف المقود، سألها: «هل أنت بخير سيدتي؟».

فردت ببشاشة: «نعم، شكراً. وأنت؟».

ـ نعم، أنا دوماً بخير.

قال هذا هازلاً. وتقابلت نظراتهما في المرآة أمامه، فضحك: «تبدين جميلة الليلة، آنسة ليتون».

لم تستطع آبي أن تمنع نفسها من الشعور بالسرور رغم أن كلامه هذا يثبت مخاوفها من أن يظن اليخاندرو أنها تكبدت كل هذا الازعاج من أجله. وهذا صحيح كما اعترفت بالرغم منها.

قالت، مدركة أنه ليس من الحكمة أن تسأل السائق: «أرجو أن تكون ملابسي مناسبة للنزهة البحرية. فهمت أن السيد فارغا يملك يختاً».

ـ هذا صحيح سيدتي.

تنهدت آبي ونظرت من النافذة: «إلى أين نحن ذاهبان؟».

في الليل، بدا كل شيء مختلفاً. ولم تكن لديها فكرة أين هي الآن.

ـ حسناً، ليس إلى حوض السفن سيدتي. يريدني السيد اليخاندرو أن أحضرك إلى منزله. لديه مركب للنزهة في حديقته الخلفية. وأظن أن ذلك ما يفكر فيه.

لم تسمع آبي أي كلمة بعد قوله إنها ذاهبة إلى منزل اليخاندرو. غاصت في مقعدها وتنهدت ساخطة. كيف يجرؤ على ذلك؟ وتملّكها الغضب. لا بد أنه يعلم ما يعنيه الذهاب إلى منزله. ولكن متى كان يهتم

بمشاعرها؟ كان عليها أن تكون أكثر حكمة فلا تضع نفسها بين يديه.

انتبهت إلى أن كارلوس قال شيئاً آخر فسألته: «ما الذي تعنيه بقولك إن لديه مركب للنزهة في حديقته الخلفية؟».

نظر السائق إليها في المرآة: «لا أظنك ذهبت قط إلى منزل السيد فارغا. إنه قائم فوق الماء».

طرفت آبي بعينيها: «ولكن كنت أظن...».

وسكتت لحظة ثم تابعت: «أليس بيته في شارع أولد أوكرا؟».

ـ لا. اعتاد والد السيد فارغا أن يسكن في شارع أولد أوكرا، لكنه انتقل إلى حيث الجالية الكوبية بعد أن تقاعد منذ سنتين. وأظن أن هذا ما جعلك تخطئين العنوان.

ـ أظن أن هذا هو الأمر.

قطبت آبي جبينها، غير واثقة مما إذا كان عليها أن تشعر بالأسف أم بالسرور. وفي الحالين، لم يذكر اليخاندرو أن العشاء سيكون في منزله. أدركت الآن أنهما يتجهان إلى جنوب المدينة. وقبل أن تصاب بالذعر، انعطف كارلوس من الطريق الرئيسي إلى شوارع أهدأ في الضواحي. فتح زجاج النافذة قليلاً فشمت رائحة المحيط. وكان النسيم الذي غزا السيارة بارداً منعشاً.

يقع بيت اليخاندرو في نهاية طريق ضيق حيث النباتات المتسلقة تغطي كل جدار. وعلى عكس منزل اسكويفال، كانت البوابة الحديدية تؤدي إلى أملاك شاسعة. وعلى ضوء مصابيح السيارة رأت آبي أن المدخل لا يحرسه سوى تمثالين من الحجر. دخل كارلوس من البوابة ليوقف السيارة الكبيرة أمام منزل من طابقين مغطى كلياً بعرائش الأزهار المتسلقة. بدا واضحاً أنه أقدم بكثير من ذلك المنزل في شارع أولد أوكرا، ولم يكن ذلك ما توقعته على الإطلاق. المنزل الآخر كان أفخم مظهراً، أما هذا البيت فبدا مختلفاً كلياً. ورغم أن مصابيح السيارة تلقي بعض الأضواء، إلا أن سحره يكمن في جوّ الغموض الذي يحيط به.

ما إن خرج كارلوس من السيارة واستدار ليفتح الباب حتى كان الباب الأمامي ينفتح ليتدفق منه الضوء الذهبي. وقف اليخاندرو وسط ذلك التألق وقد أخفت هالة الضوء خلفه تعابير وجهه. كان يرتدي قميصاً أبيض واسع الكمين وبنطلوناً أسود ضيقاً، وقد أبرزت ياقته المفتوحة لونه الأسمر، ما أظهر هويته بوضوح.

شعرت آبي بالارتجاف، ولم تستطع منع نفسها من ذلك. هكذا تتذكره تماماً. وكان عليها أن تقاوم دافعاً يجعلها تخرج من السيارة ثم تسير لتلقي بنفسها بين ذراعيه.

لكن هذا جنون، إنها مجنونة. لقد دعاها إلى هنا للتحدث عن إدوارد وربما عن لورين. بدا واضحاً أنه مولع بابنة قريبته قدر ولعها به. فلماذا تجلس هي هنا متمنية أشياء... متمنية حياة... يمكن أن تكون مختلفة؟ إنسي هذا، يا آبي... لأن اليخاندرو فارغا لم يخلق لك قط.

نزلت من السيارة شاعرة بالعجز، فغاص كعبا حذائها العاليان في الأرض الطرية إلى حدٍ مدهش. وتكهنت بأن الرطوبة هنا نادراً ما تجف. عندئذ، تقدم اليخاندرو نحوها وأخذ بيدها، أما هي فشعرت بالوهن بحيث لم تستطع أن تمانع حين رفعها إلى شفتيه.

كان فمه رطباً أيضاً، ورطبت أنفاسه بشرتها، فارتجفت مرة أخرى. ما كان لها قط أن توافق على هذا الأمر... أن تأتي إلى هنا... أن تدخل إلى عرين الأسد.

وقال يحييها برقة: «أهلاً بك في بيتي. ما أجمل أن أراك مرة أخرى، يا عزيزتي. انتظرت هذه اللحظة طويلاً. تفضلي بالدخول».

ـ أنت لم تقل إننا سنتناول العشاء في بيتك.

همست بلهجة اتهام، لكن اليخاندرو لم يفعل سوى أن رفع حاجبيه لسائقه الذي كان لا يزال واقفاً بجانب السيارة: «يمكنك أن تذهب كارلوس. سأتصل بك إذا احتجتك فيما بعد. إلى اللقاء يا صديقي».

رأت آبي الرجل وهو ينظر إليها قبل أن يذهب. ما الذي يفكر فيه؟

أتراه يعطف عليها لورطتها هذه؟ هل لديه فكرة كم تتوق إلى الذهاب معه؟ فالعودة إلى منزل اسكويفال أفضل من البقاء هنا.

لكن الأوان فات على ذلك. فقد التفّت أصابع اليخاندرو على ذراعها وقادتها إلى المدخل، ليدخلها، دون مقاومة منها، إلى بيته.

صعدا سلماً ملتوياً إلى الطابق الأعلى من البيت. قادها اليخاندرو إلى غرفة جلوس فسيحة فيها ثلاث أرائك حريرية تحيط بمدفأة بالغة الزخرفة. وقد قامت في الغرفة خزانة من خشب السنديان المحفور تحتوي على قطع فنية أصلية تساوي ثروة.

حذّرت آبي نفسها من الاستغراق في ما حولها، مهما بلغ جماله. لأن اليخاندرو لم يحضرها إلى هنا لتبدي إعجابها ببيته. لقد أحضرها إلى هنا لأسبابه الخاصة، ومن الحكمة أن تتذكر ذلك. ولكي تلهي نفسها، ابتعدت عن اليخاندرو وسارت نحو النوافذ المستطيلة في آخر الغرفة. كانت الأضواء تومض خلف سعف النخيل المتحركة فتضيف وهجاً إلى النباتات المتعرشة التي تتدلى من الشرفة العليا.

انعكاس ظل اليخاندرو أنبأها بأنه قادم ليقف خلفها. وسرعان ما أصبح إحساسها به كإحساسها بالهواء البارد الذي يتسرب من الفتحة فوق رأسها. وعلى الفور بدا وكأن النباتات المتدلية خلف النافذة أوقعتها في شرك الخطر الغامض لهذا الرجل الواقف خلفها.

* * *

٥ ـ . . وغرقت في بحر الشوق

شعرت أنها بحاجة إلى قول شيء. . . أيّ شيء، لتبدّد هذا السحر الذي بدأ يكتسحها من دون جهد، فأسرعت تقول: «قال كارلوس إن هذا البيت يقوم على الماء. هل هذا المحيط الذي يبدو من هنا؟».

شعرت بهزل خفيف في صوته وهو يجيبها: «لا. هذا الساحل بأكمله مليء بفجوات هي عبارة عن خلجان وممرات مائية. حوض السفن هنا. وبسكاين باي يبعد نصف ميل».

ـ آه.

حاولت آبي باستماتة أن تجد شيئاً آخر تتحدث عنه، عندما تمتم: «وجواباً على اتهامك السابق، لا أتذكر أنني أخبرتك أين ستتعشى».

ـ لا، ولكن. . .

واستدارت إليه قبل أن تدرك مبلغ عدم الحكمة في ذلك، واضطر هو إلى التراجع خطوة إلى الخلف ليبقي بينهما مسافة مقبولة. ومع ذلك كانت واعية إلى قربه منها بقوة، وكذلك إلى سمرة بشرته بجانب بياض قميصه: «لا بد أنك تعلم بما كنت سأفكر فيه عندما يخبرني سائقك إلى أين سيصطحبني».

فقال متصنعاً الغباء: «لا. لماذا لا تخبريني؟».

فهزّت رأسها: «لا تحاول الخداع، اليخاندرو. أنت تعلم أنني كنت سأظنك ستحضرني إلى ذلك المنزل في شارع أولد أوكرا».

www.elromancia.com

ـ لكن منزل شارع أولد أوكرا ليس منزلي.

ـ عرفت هذا الآن، لكنك لم تخبرني بأنه ليس منزلك. كارلوس هو الذي أخبرني.

كان الغيظ يتملكها لقدرته على التصرف وكأنه غير قادر على أي خداع بينما هي تعلم جيداً أنه مخادع.

وضع اليخاندرو يديه في جيبي بنطلونه وقال متهكماً: «يا لكارلوس الطيب! أخبريني يا عزيزتي. إلى أين تريدين الوصول؟».

زمّت فمها لحظة لتسيطر على غضبها: «كما قلت لك من قبل، أنت تحب الخداع لكنني لا أحبه».

ـ وهذا يعني..؟.

ـ يعني أنك تعمّدت حينذاك أن تجعلني أعتقد أن ذلك البيت في شارع أولد أوكرا هو بيتك. ولكن، طبعاً لم يكن في استطاعتك أن تأخذني إلى بيتك حينذاك، أليس كذلك؟ لأن زوجتك ما كانت ستحب ذلك. وهذا أمر آخر نسيت أن تخبرني به.

اتسعت فتحتا أنفه وبدا الشر على ملامحه: «أظن أن إدوارد هو الذي أخبرك. أخوك العزيز يستحق العقاب لعدم حفظه الأسرار».

قابلت التحدّي في عينيه لحظة وجيزة. لكن صعب عليها تمالك أعصابها إزاء هذا العداء الواضح. وشعرت بالضيق وهي تدرك مبلغ ضعفها هنا. فهذا بيت اليخاندرو، وأرض اليخاندرو.. وبإمكانه هنا أن يقول ويفعل ما يريد.

وأخيراً اعترفت: «أخبرني إدوارد أنك متزوج، هل تلومه؟ إنني أخته، وهو يريد مصلحتي فقط».

ـ لا بد أنها المرة الأولى التي يفعل فيها ذلك.

قال هذا وهو يستدير مبتعداً عنها. وقبل أن تفكر في ردّ مناسب، قال: «ماذا تريدين أن تشربي؟».

عضّت شفتها العليا. الكآبة والنكد لن يجدياها نفعاً، فسألته: «هل

لديك صودا؟».

نظر إليها باستسلام: «لا».

فقالت بتوتر: «كولا، إذن... كوباً صغيراً».

ظهور خادم في بذلة بيضاء أراحها.

في الواقع، شعرت بالامتنان لهذه المقاطعة. فقد كان الجوّ يزداد توتراً بينهما، وسرّها أن تستعيد أنفاسها بشكل طبيعي.

فكرت في أنها قد تشعر شعوراً أكثر بالأمان إذا كانت جالسة، فجلست على كرسي منجد بقماش مطرز. وقد تعمدت الجلوس على ذلك الكرسي بدلاً من الأريكة، ذلك أن الجلوس على الأريكة يمثل دعوة له ليجلس بجانبها. ورغم جهودها لإبقاء الحديث على مستوى محايد غير شخصي، بدا وكأن اليخاندرو مصمم على إحباط مساعيها.

ـ هل شرابك يعجبك؟.

أدركت فجأة أن الخادم خرج بينما كانت مستغرقة في أفكارها، وأن اليخاندرو يقف الآن أمامها مباشرة.. في محاولتها لتحويل انتباهها عنه، أخذت جرعة من كوبها دون حذر فكادت تختنق.

بارتباك ووجه متوهج، اضطرت لأن تأخذ منه الفوطة التي قدمها إليها. وأخذت تفكر أنه ربما تعمد الوقوف أمامها بهذا الشكل لشعوره بمبلغ توترها. ويبدو أنه أشفق عليها، فابتعد وجلس على إحدى الأرائك المخملية الحمراء الداكنة. وضع اليخاندرو ذراعه على مسند الأريكة ورفع كوبه إلى شفتيه. بدا واضحاً رضاه التام عن نفسه، أما هي فشعرت بالاستياء لأنها وجدت نفسها من جديد مخدوعة. وعلى كل حال، شعرت بالامتنان لفترة الراحة هذه التي وفرها لها ابتعاده عنها.

ـ أتشعرين بتحسن؟.

انتبهت على الفور إلى أنها لن تربح شيئاً إذا تهربت مما لا مناص منه. عليها أن تتحدث إلى هذا الرجل، عليها أن تعرف ما يريد. ولكن الأهم هو ألاّ تدعه يتسلم زمام الحديث.

ـ نعم، شكراً.

ثم وضعت الكوب من يدها وأرغمت نفسها على النظر إليه: «هل عشت هنا طويلاً؟».

توتر فمه وكأنه أدرك ما تفكر فيه. لكنه أجاب بهدوء تام: «كان هذا البيت لأختي. وعندما ماتت ورثته عنها».

فترددت قبل أن تقول: «هل كان ذلك قبل أم بعد حصولك على الطلاق؟».

طرحت السؤال باختصار، وسرها أن ترى عينيه تظلمان بضيق لم يستطع أن يخفيه. ثم قال بهدوء: «بعده. زوجتي السابقة لم تسكن هنا قط، إذا كان هذا ما تريدين أن تعرفيه».

ثم أضاف بجرأة تماثل جرأتها: «ومتى فصمت أنت خطوبتك؟ قبل أم بعد عودتك من العرس؟».

طرفت آبي بعينيها وقالت بحيرة: «أنا... من أخبرك بأنني فصمت خطوبتي؟».

ـ خمني.

قال هذا بجفاء، فقطبت جبينها بتشوّش بالغ: «ولكن... لقد عقدت خطوبتي منذ شهرين فقط، فما الذي يجعلني...؟».

لكنها لم تكمل جملتها. وتذكرت فجأة شيئاً آخر قاله لها، فحدقت إليه من دون أن تفهم: «أي عرس تتحدث عنه؟».

فلوى شفتيه: «عرس إدوارد، كم عرساً حضرنا أنا وأنت؟».

فقالت غير مصدقة: «عرس إدوارد؟».

وعندما أومأ، عادت تقول: «لم أكن مخطوبة عندما تزوج إدوارد».

فقال بخشونة: «إذن فقد كان ذلك قبل الزواج. كان يجب أن أعلم أن أخاك لا يقول الحقيقة».

فحملقت فيه: «لا أدري ما الذي تتحدث عنه».

قالت هذا ببرودة، ثم رفعت رأسها وأضافت: «على أيّ حال، أنا لم

أحضر إلى هنا لأتحدث عن نفسي، بل جئت لأتحدث عن إدوارد. أريد أن أعرف لماذا تصر على اتهامه بينما... بينما أنت هو... هو...».

فقال ساخراً: «هو النذل؟».

لكنها تجاهلته وأكملت: «هو المخطىء هنا. وأنا مسرورة لأنك لا تنكر ذلك».

رقّت أسارير اليخاندرو وقال متأملاً: «أنت حقاً لا تعلمين، أليس كذلك يا عزيزتي؟ أتساءل عما أخبرك به، وما التبرير الذي أعطاك إياه لـ.. ماذا أسميه؟ لأجل عدائه لي».

فهتفت على الفور: «لا تدّعي الجهل. فأنت لا... لا تستطيع أن ترفع يدك عن زوجته. كيف يمكنه ألاّ يكون معادياً لك عندما تحاول هدم حياته الزوجية؟».

أصدر اليخاندرو صوتاً مخنوقاً فظنت للحظة أنه اختنق. وسرعان ما أدركت أنه يحاول أن يكتم ضحكة. وغاظها أنه يجد الأمر مضحكاً فالمسألة لا تحتمل المزاح. إنه مستقبل أخيها... حياته. ولكن، ما الذي تتوقعه من رجل كان مستعداً لأن يخون زوجته؟.

أرادت آبي أن تنهض وتخرج، لكنها لم تفعل. لم تستطع. الآن وقد انكشف كل شيء، ستترك الأمر لإدوارد لكي يحاول تقويم الأمور.

ولكن الذعر تملكها عندما وضع اليخاندرو كوبه ثم هبّ واقفاً. قوّت نفسها للمواجهة، لكنه بدلاً من أن يتجه نحوها، ذهب ليقف بجانب النوافذ ينظر منها كما فعلت هي من قبل. ثم قال بلطف: «حسناً! هذا إذن ما أخبرك به، وأنت صدقته. لا أدري ما إذا كان عليّ أن أشعر بالغرور أو بالإهانة، يا عزيزتي. ما رأيك؟».

ابتلعت آبي ريقها بعد أن التفت إليها وأخذ يحدق فيها. لكنها لم تستطع أن تتراجع، فأجابت بتوتر: «رأيي أن عليك أن تشعر بالخجل من نفسك. لو كنت مكانك لشعرت بذلك. لورين... لورين صغيرة بحيث يمكن أن تكون ابنتك».

ـ أو ابنة أختي.

وافقها على ذلك بملامح جامدة، ثم هزّ رأسه غير مصدّق: «لا يمكن أن أنظر إلى ابنة صديقي بهذه الطريقة إلا إذا كنت مستميتاً للغاية أو غبياً».

فالتفتت إليه: «هل تنكر أنك على علاقة بها؟».

فردد كلماتها غير مصدّق: «أنكر ذلك؟ ما الذي تفكرين فيه؟ لا يمكنك أن تكوني جادة في ما تقولين، فأنا لا أهتم بلورين اسكويفال».

ـ بل هي لورين ليتون.

قالت آبي هذا بسرعة فتنهد وقال بفتور: «نعم. لورين ليتون. لأجل الله يا آبيغايل، إنها طفلة. طفلة في معظم الأحيان».

وقفت آبي وهي تترنح: «طبعاً ستقول ذلك».

ـ نعم. سأقول لك.

واستدار فجأة، فتقلصت المسافة بينهما ولم تعد تشعر بالأمان: «بحق الله، آبيغايل. هل تصغين إليّ؟ لورين فتاة ظريفة... مسلّية. لكنني لم ألمسها قط. أنا أعاملها كما أعامل أختاً صغيرة».

ابتلعت آبي ريقها. حاولت أن تركز انتباهها على بشرته السمراء التي تبدو من فتحة ياقته: «أنا... أنا أسمع ما تقول».

قالت هذا وهي تنظر إلى النبض الذي راح يخفق في عنقه. بدت خفقات قلبه متسارعة مثلها تماماً. ولكن، لعله يشعر بالإحباط. أما هي فكانت تقاوم مشاعرها التي تكاد تقهر تعقلها.

حدّق اليخاندرو إليها طويلاً، ثم تقدم إلى حيث كانت تقف، وهذا ما كانت تخشاه، وقال بصوت أجش: «أنت سمعت كلامي لكنك لم تصدقيني. أنت تعلمين في أعماقك أنها الحقيقة، ولكن لأجل أخيك، تحدثين نفسك بأنك غير مقتنعة».

فزفرت بتوتر: «وهل تلومني؟ إذا كنت تحاول أن ترهبني يا اليخاندرو فقد نجحت».

شتم بصوت خافت: «أنا لا أحاول أن أرهبك، يا عزيزتي. أنا أحاول أن أجعلك تفهمين أن هناك أمور أكبر مما تظنين».

زمّت آبي شفتيها: «لقد عرفت إدوارد طوال حياته...».

ـ ماذا تعنين بهذا بالضبط؟.

هزّت رأسها: «كنت سأعلم لو كذب عليّ».

فهزّ كتفيه: «ولو أخبرتك أنه يخاف أن يخبرك الحقيقة، فماذا ستفعلين؟».

فابتلعت ريقها وهتفت وهي تترنح: «إدوارد لا يخاف منك».

لكن كلماتها بدت فارغة في أذنيها. فقال برقة: «أنا لم أقل إنه يخاف مني. هل يجب أن أكرر قولي، يا عزيزتي؟ أنا لست عدواً لإدوارد. ومهما أخبرك عني فهو غير صحيح».

وأخذ يمرّر أطراف أصابعه على ذقنها. أجفلت آبي وتراجعت إلى الخلف، ولكن نتيجة حركتها جاءت بخلاف ما نوت لأنه لم يسحب يده، وبدلاً من ذلك سمح لأصابعه بأن تلامس عنقها برقة. شعرت آبي بالضعف. بالرغم من كل ما حدث، اجتاحتها مشاعر قوية، مشاعر كانت قد أقنعت نفسها بأنها اصبحت طي النسيان. لمساته، قربه منها، دفء أنفاسه، يداه.. وأدركت أنها إذا لم تخرج الآن، فلن تخرج أبداً.

ـ أظن أن من الأفضل أن تدعني أذهب، فهذا لن ينفع.

قالت هذا وهي تسمع الذعر في صوتها، فتمنت أن لا يلاحظ ذلك. إلا أن ابتسامته بدت غامضة، وأدركت أنه علم بالضبط مبلغ الوهن الذي أصابها. وعندما مدّت يدها تبعده عنها، أطبق على أصابعها بقبضته القوية: «أظن أن إدوارد يعلم أنك مخطئة في ذلك».

قال هذا بصوت خافت، وذعرت وهو يرفع يدها إلى شفتيه. فشعرت بالحرارة تسري في جسدها بسبب هذه اللمسة. وعندما تكلم مرة أخرى اضطرت إلى التركيز بقوة لكي تفهم ما يقول. وكان يقول بصوت متثاقل: «إنه يعلم أنني ما زلت أريدك. أليس كذلك؟ هذا ما أخبرك به،

www.elromancia.com

وأنني سأترك لورين إذا ظننت أنني أستطيع الحصول عليك».

- لا تكن سخيفاً.

سحبت يدها من يده ومسحتها بغضب على وركها. ومع ذلك، كانت لا تزال تشعر بلمسته، وبحرارته تلفّها. وترنحت. لماذا تركت إدوارد يقنعها بأن اليخاندرو سيصغي إليها؟.

لكن الارتياح تملكها عندما لم يتابع اليخاندرو ذلك. لم تصدق أنه قبل الهزيمة، فهذه ليست عادته. ربما يحضر لمواجهة في المستقبل. إنه يعلم مثلها بأنها لن تذهب حالياً إلى أيّ مكان.

- تعالي.

قال وهو يستدير إلى الباب مقدماً إليها يده. لكنها كانت أكثر حكمة من أن تأخذها.

- إلى أين نحن ذاهبان؟.

سألته محاولة أن تكبح الرجفة في صوتها، فابتسم: «إلى حوض السفن طبعاً، لكي أريك يختي».

قال هذا وهو يفتح الباب ويقف جانباً لكي تتقدمه.

يخته؟ وتنفست بعمق تهدىء نفسها. كانت قد نسيت سبب دعوته لها إلى هنا. لكنها لم تشأ أن تترك منزله الذي كان يشكّل لها أماناً نسبياً، فقالت من دون أن تتحرك: «لا أدري... لا أظن ذلك ضرورياً».

فقال بحزم: «لكن، هذا ما وعدتك به».

وتساءلت إن كان يظن أن أي شيء يقوله سيطمئنها: «اليخاندرو...».

- تعالي.

عاد يقول بنفاد صبر: «هل ستُخيِّبين أمل أخيك؟ إنه يريدني أن أفتتن بك إلى حد أوافق معه على كل ما يريده».

بدا يخت اليخاندرو أقل وأكثر مما توقعته في الوقت نفسه. فهو صغير، لكنه ليس يختاً من الفولاذ المتألق كما كانت تظن. بل هو

كمنزله، ساحر مميّز وليس عصرياً جميلاً.

سارا إلى اليخت بين جنّة من النباتات، وأشجار النخيل، والعرائش، وشجيرات الزنابق وغير ذلك من الأزهار البرية التي راحت تلامس ساقيها وتملأ خياشيمها بشذاها. وسرّها أن يضع اليخاندرو يده الحازمة خلفها ليقودها فوق رقعة أرض غير مستوية. كان إحساسها بقربه عنيفاً، وكذلك إحساسها بسهولة سيطرته عليها.

شعرت بالارتياح عندما دخلا إلى حوض السفن وأصبح بإمكانها أن تحرر نفسها من قبضة اليخاندرو. ومع ذلك، عندما ذهب ليتفحص حبال المركب، وجدت نفسها تراقبه مرة أخرى، معجبة بجسمه الرشيق المشدود. إنه يملك قوة غريبة لا يمكنها مقاومتها.

رباه! . لا . لن تظهر ضعفها أمامه. عليها أن تتحلى بالقوة الليلة. وسرعان ما سمعت صوت اليخاندرو يقول: «هل تصعد إلى اليخت؟».

وأشار إلى السلم المتحرك بين اليخت والأرض ثم نظر إلى حذائها: «ولكن، ربما عليك أن تخلعي حذاءك. أكره أن تفقدي توازنك وتسقطي في الخليج الصغير».

حملقت آبي فيه. لم يكن لديها أي خيار بالنسبة إلى نوع الحذاء. ربما يظن أنها انتعلت هذا الحذاء للتأثير فيه. خلعت حذاءها بشيء من الامتعاض، أما هو فقال برقة: «هكذا أفضل».

طريقته في التحدث إليها تجعل قلبها يخفق توقعاً. ولكن ما بها؟ هل عاودها الضعف مرة أخرى؟.

مرت بجانبه متجهة إلى السلم المتحرك. إنها تريد أن تنتهي هذه النزهة، وعندما يدرك أنه يضيع وقته في محاولة إغوائها، سيعود حتماً إلى موضوع هذا الاجتماع.

تبعها إلى اليخت، ثم أخذ المركب يهتز مع ارتفاع الماء وانخفاضه. وتقدم إلى مكان القبطان ثم أدار المحرك.

وعلى الفور، اشتعلت الأنوار في كل أنحاء اليخت، فحبست آبي

www.elromancia.com

أنفاسها لرؤية الخشب المصقول والنحاس اللامع. ورأت سلماً يؤدي إلى غرفة خاصة في الأسفل، فخرج اليخاندرو من قمرة القيادة وأشار إليها بأن تتبعه.

سرعان ما ابتدأ يهبط السلم بسهولة، فألقت بحذائها الخفيف على سطح المركب ثم راحت تنزل متمسكة بالدرابزين.

ثبّتت نظراتها على موضع قدميها وليس على وجهه المرفوع إلى أعلى، ثم نظرت حولها. كان المكان رائعاً تماماً كالطابق الأعلى، فثمة مطبخ في ناحية وسلم ضيق يؤدي إلى الغرف الرئيسية. وتكهنت أن خلف ذلك غرفة النوم، وهو أمر لا تريد التفكير فيه حالياً.

اشتمت رائحة طعام شهي، ولكن نظرة مختصرة إلى داخل المطبخ أقنعتها بأن لا أحد هناك يطهو. كما هو الحال مع شقة لورين وإدوارد، بدا أن المطبخ لم يُمس. وهكذا بدت غير مستعدة للمنظر الذي فاجأ عينيها عندما دخلت إلى الغرفة الرئيسية.

لقد وضعت مائدة تحت النوافذ المربعة. كان الطعام لا يزال ساخناً يتصاعد منه البخار.

تمتم اليخاندرو بما يشبه الاعتذار: «أرجو أن يعجبك الطعام الكوبي».

فهزت رأسها غير مصدقة: «إن... رائحته شهية تماماً».

قالت هذا بسرعة، مدركة أنه قد يسيء تفسير حركة رأسها هذه. ولأنها لا تستطيع أن تبقى غاضبة منه بعد كل هذا الجهد الذي بذله لأجلها، أضافت برقة: «سيكون عليك أن تخبرني عن اسم ومكوّنات كل نوع. عدا عن سرطان البحر، لا أظنني تذوقت الطعام الكوبي من قبل».

ـ لا... بأس. دعيني أعرّفك إلى كل هذا...

خرجت هذه الكلمات غريبة من بين شفتيه وهو يمنحها ابتسامة صادقة. أخذ ملعقة كبيرة ثم دعاها إلى الجلوس بجانبه إلى المائدة، وغرف لها من خليط الأرز والبازيلا والبهارات والزعفران، مع قطعة

قريدس كبيرة مشوية، وقدمه إليها. كان ما تذوقته لذيذاً للغاية، إذ تقطر منه صلصة دسمة. ثم قال: «كامارون».

نظر إليها وهي تأكل بمتعة واضحة، ثم سألها: «هل أعجبك؟».

ـ نعم.

الطعام الثاني الذي قدمه إليها هو لفافة من لحم الدجاج المشوي مع شرائح الخضار إلى حد أصبحت محمصة من الخارج وطرية من الداخل، ووجدت أنها لذيذة الطعم وتعبق بالبهارات.

قال: «هذا النوع يُدعى كروكتياس».

نظر إليها مستمتعاً مرة أخرى بسرورها، ثم قال بإلفة أثارت الاضطراب في نفسها: «هل أخبرك شخص آخر كم يبعث إرضاؤك السرور في النفس، يا عزيزتي؟ كثيرات من النساء يجوّعن أنفسهن قبل أن يأكلن من هذا الطعام».

عبست آبي ومسحت فمها: «ماذا تقول؟ إن حالتي ميئوس منها؟».

قالت هذا وهي تحدّق بلهفة إلى قطعة الدجاج المشوي التي اختارتها، فقطب اليخاندرو حاجبيه بحيرة: «ماذا؟ لم أفهم ما تعنين؟».

ـ تقصد أنني سمينة؟.

فهتف مذهولاً: «أنت لست سمينة يا عزيزتي، بل جسمك في غاية الروعة».

قال هذا بصوت عاطفي أجش. فسألته لتغير اتجاه الحديث: «وما هذا؟».

قالت ذلك وهي تبتعد عنه. وارتاحت عندما تقبّل محاولتها تغيير الموضوع، وأجاب بمرح: «هذا روبا فييجا. والطبق الذي بجانبه ويعبق برائحة البهارات اسمه «غامبو»، وهو ليس طبقاً كوبياً. فأصله من جنوب لويزيانا، لكنني أحبه وأرجو أن تحبيه أنت أيضاً».

أخيراً ملأ طبقيهما ثم ذهبا ليجلسا على الأريكة الخشبية في مقدمة السفينة. كانت النوافذ المستطيلة تطل على مشهد رائع للخليج، حيث

تتراقص أضواء المركب منعكسة في المياه كأنها آلاف النجوم.

وضع اليخاندرو موسيقى لاتينية، فتدفقت الألحان تشعل النار في دمائها... كانت الموسيقى تدعوهما للرقص وترددت حواسها خوفاً من الاقتراب من اليخاندرو إلى حدٍ خطير.

وبالرغم من ذلك كانت تشعر بالاسترخاء، وببطء، راح التوتر في جسمها يتبدد. لم يتحرك اليخاندرو، وكادت تميل إلى الاعتقاد بأن إحساسها به مبالغ فيه. كان حتماً يبذل جهده لكي يريحها.

وفي الوقت الذي أنهت فيه طعامها، كان شعور بالحذر يتملكها. لا شك أن للجو الساحر وللطعام اللذيذ دوراً كبيراً في ذلك. لكنها لم تجد في داخلها طاقة للقلق، فقد كانت تستمتع بوقتها إلى أقصى حد، ولم تشأ أن تفسد ذلك بالتفكير بأي شيء آخر.

إدوارد!.

سبح وجه أخيها أمام عينيها، فأخذت تطرف بهما. وتذكرت أنه سبب وجودها هنا. أنت لكي تتحدث عن إدوارد، ولا شيء غير ذلك. ومن أجله عرّضت نفسها لإغراء الليل والبحر والموسيقى... والرجل، كما أخذت تفكّر بفروغ صبر. ما كان لها أن تنسى قط سبب مجيئها إلى هنا، أو.. الرجل الذي أتى بها.. اليخاندرو!.

في تلك اللحظة، وقف اليخاندرو، فأجفلت. لكنه رفع الأطباق الفارغة وذهب بها إلى المطبخ، ثم عاد مادّاً يده نحوها، يدعوها إلى الوقوف. أدركت غير مصدقة أنه يتوقع منها أن ترقص معه. وبينما كانت تعد نفسها لمواجهته، كان هو يوجه الأمور وفق خطته مرة أخرى. وهذه المرة لم يكن هناك مهرب. وضعت كوب العصير من يدها جانباً، ثم وقفت. وقبل أن تدرك ما يحدث، كانت بين ذراعيه.

ـ علينا أن نتحدث يا اليخاندرو. لا أريد أن أرقص معك. ليس لهذا جئت إلى هنا.

أقرّ بصحة كلامها، لكنه لم يدعها: «هذا لا يعني أن ليس علينا أن نستمتع بوقتنا، يا عزيزتي. ثقي بي. سنصل إلى ما تريدينه في الوقت المناسب».

تثق به؟ وشعرت برغبة هستيرية في الضحك. وفكرت بعنف في أنها فعلت ذلك من قبل فأين انتهى بها الأمر؟ ما كانت لتجيء إلى هنا على الإطلاق لو لم ترتكب خطأ الثقة باليخاندرو من قبل. كيف يطلب منها أن تثق به بينما هي لا تثق حتى بنفسها؟.

ومع ذلك، عندما راح يتحرك على أنغام الموسيقى أصبح من الصعوبة بمكان أن تبقي ذلك في ذهنها. الليل، الأنغام المغناطيسية التأثير، جسمه القوي الذي يتمايل مع جسدها، كل ذلك جعل حواسها تدور. كانت يده حول خصرها تشدها إليه. ما هذا الجنون؟ إنهما يرقصان فقط وعليهما ألاّ يطلقا العنان لمشاعرهما.

بدا لها وجودها هنا مع اليخاندرو شيئاً لا يُصدق... غير حقيقي. وعندما جرؤت على رفع بصرها إليه، لمحت عذاباً مماثلاً على ملامحه، سرعان ما تبدّد وحلت مكانه ابتسامته الساخرة.

نظر إليها بعزم، ثم شبك أصابعه بأصابعها، وراح يضغط عليها.

ـ هل تدركين ما الذي تفعلينه بي، يا عزيزتي؟.

وضحك لها برقة ثم أدارها على نغم الموسيقى. دارت الصور حولها بعنف، ولم تستطع أن تحتفظ بتوازنها. مدّت يديها إلى كتفيه، تريد شيئاً صلباً تتمسك به، لكن قميصه كان حريرياً ناعماً، وبدلاً من أن تقبض على القماش انزلقت أصابعها إلى عنقه.

أبعدت يديها عنه على الفور، ولكنها أدركت على الفور أنه كان حساساً للمستها بقدر إحساسها بلمسته.

ـ يا حبيبتي...

قال هذا بصوت عاطفي أجش وهو يضغط يدها الطليقة على

صدره، ثم أمسك بكتفيها: «هل لديك فكرة عما أفكر فيه حالياً؟ أتعرفين كم مرة تصورت هذه اللحظة في أحلامي؟».

ـ اليخاندرو...

ـ حتى طريقة تلفظك باسمي، تختلف عن طريقة أي شخص آخر. أنت امرأة مختلفة. قبل سنتين كان علي أن أحصل عليك ولكنك حرمتني من ذلك... حرمتني من متعة الإحساس بك...

ـ كفى!.

كادت تختنق وهي تلفظ هذه الكلمة. لا يمكن أن يحدث هذا. ألا يشعر بالخجل أبداً؟ إنها امرأة مخطوبة. ألا يعني هذا له شيئاً؟ ألم يعن شيئاً لإدوارد أيضاً؟ أخذت تتساءل بقنوط. إنها تظن أن الجواب هو «لا» بالنسبة لهما معاً.

ـ أنت لا تعنين ذلك، يا عزيزتي.

إنه لا يصدقها! وكادت تتأوه. لماذا لا يدهشها ذلك؟ مهما كان ما خطر لإدوارد، فهي ليست مستعدة لذلك.. لن تبيع نفسها لأن أخاها يظن أن ذلك قد يعود عليه ببعض الفائدة. ما الذي حدث؟ لماذا لا يخبرها أحد بالحقيقة؟.

كانت يداه تمسكان بخصرها: «أنت رائعة الجمال يا عزيزتي. لكنك تعلمين هذا فقد أخبرتك به مراراً من قبل».

نعم، لقد فعل ذلك، وصدقته حينذاك، لكن كل ذلك انتهى مسبباً خسارة لها. لكنها لا تصدقه الآن. إنه يعبث بها فقط. إنه يريد أن يرى مقدار تماسكها وقدرتها على مقاومته. وبشكل ما... بشكل ما... فليساعدها الله! ... عليها أن تتوقف قبل فوات الأوان.

توسلت إليه، محتقرة نفسها في الوقت عينه لهذا التوسل: «أرجوك، اليخاندرو... أنت قلت ... أنت قلت إنك ستفعل ما أريد إذا... إذا وافقت على الرقص معك. حسناً، نحن لا نرقص الآن».

فقال بصوت رقيق: «أتظنين ذلك، يا عزيزتي؟ ولكن .... ألسنا

نمارس أقدم رقصة في الحياة؟».

ـ لا أفهمك.

لكنها كانت تفهمه جيداً ... بل أكثر مما يلزم.

ـ لا؟.

وأخذت عيناه تتفحصان وجهها: «أنت تدهشينني عزيزتي».

ورغم أنها أدارت وجهها عنه، إلا أن ذراعاه التفتا حولها ليغرقها في عناق حميم. أخذت تحدث نفسها أن ليس في استطاعتها أن تمنع موجة الشوق التي اكتسحتها. وأدرك هو ذلك، تباً له! أدرك أنه إذا عانقها مرة أخرى فلن يكون بإمكانها أن تقاومه. بدا القتال غير متكافىء. فهي لم تكن تقاومه فقط، وإنما تقاوم مشاعرها أيضاً.

أخذ يعانقها بشغف مبتهجاً لاستسلامها، ولم تعد تتظاهر بأنها لم تكره عناقه، بل شعرت بنفسها تغرق في بحر من دون قرار. أخذت تلهث وكأنها أحسّت بالدوار لقلة الهواء. ولكن يبدو أن الشوق احتل مكان القلق. لقد تألمت طوال المساء، والآن راح شوقها يتزايد.

وتأوهت إحباطاً. ولم تستطع أن تمنع نفسها من مبادلته العناق بشغف، شاعرة بتجاوبه وشوقه الذي يماثل شوقها.

أخذت يدها الطليقة تلامس وجنته فشعرت بخشونة لحيته النابتة تحت لمستها. وشعرت وكأنها تسبح في بحر مظلم من المشاعر، لم تشأ... لم تستطع أن تنسحب بعيداً. لم يسبق لها في حياتها قط أن عرفت مثل هذه المشاعر.

تأوه وهو يرتجف، ثم رفع رأسه. أمسك بذراعيها وأبعدها عنه، وعندما حاولت أن تفهم، وقال برقّة: «ينبغي علينا أن نتحدث».

ـ نتحدث؟ لا أفهم.

وحاولت أن تفكر بصفاء، لكن ذلك لم يكن سهلاً.

ـ بل أظنك تفهمين، يا عزيزتي.

قال هذا وهو يتركها ثم يعبر الغرفة إلى حيث سكب لنفسه كوباً من

العصير البارد: «أنا فقط أقوم بما تريدين. حدثيني يا آبيغايل. أخبريني لماذا تظنين أن إدوارد حريص على أن... نجدد، أنا وأنت، تعارفنا؟».

***

٦ ـ ماذا تفعلين بي؟

هزّت آبي رأسها، ثم عادت فتمنت لو أنها لم تتجاوب مع عناقه، إذ جعلها هذا تشعر بشيء من الغثيان. دعت الله ألاّ تتقيأ، لأن هذه ستكون آخر قشة، كما أخذت تفكر بمرارة. آخر إذلال لها. عليها، بأي شكل، أن تواجه هذا متمسكة بالكرامة والكبرياء.

لكن الطعام الدسم والرقص مع اليخاندرو... خصوصاً الرقص مع اليخاندرو، تركاها ضعيفة مترنحة. وهو بلا شك يعلم ذلك. بدا في عينيه هزل، إدراك ساخر لضعفها... وللسهولة التي سلبها بها ذلك المظهر الكاذب من اللامبالاة الذي كانت تحاول أن تظهر به.

إنها لا تتظاهر الآن بأي لا مبالاة، بل على العكس. فهي تعلم أنها تبدو غاية في التعاسة. شعرها، وهو المتمرد في أفضل أوقاته، بدا الآن أشعث، ووجهها يتفصّد عرقاً. بدت كما هي حالياً... امرأة خرجت من عناق مع رجل تعمّد أن يسلبها كل احترام لذاتها...

كان عليها أن تقول شيئاً، كما حدثت نفسها بلهفة. عليها أن تنقذ الموقف بأن تريه أن عناقه لم يترك فيها أثراً. وأخيراً قالت وهي ترفع يديها لتسوّي شعرها: «آسفة».

وضعت يديها على رقبتها تتمطى من دون أن تبدي انزعاجاً مما

www.elromancia.com

حصل: «آسفة لأنني نسيت كل شيء عن إدوارد. أليس هذا فظيعاً؟».

وأرغمت نفسها على الابتسام: «المعذرة. ما الذي كنت تقوله؟ هل هو شيء عن إدوارد وأنه يريدنا أن نعود إلى بعضنا البعض؟».

تملكته الدهشة، وقد لاحظت ذلك بوضوح. كما بدا في عينيه أثر من إعجاب. أشار إلى إبريق العصير بجانبه يعرض عليها، لكنها أشارت إليه بالنفي، وما لبثت أن توجهت إلى الأريكة تجلس عليها بشيء من الارتياح. ثم تابعت تقول، لئلا تترك له المبادرة: «وهكذ، ربما عليك أن تخبرني لماذا تظن ذلك؟».

قال وهو يجلس على أريكة أمامها: «أحسنت. ها أنت تعيدين إليّ كلماتي، راجية أن أنسى من بدأ هذا... الحديث، أليس كذلك؟».

ـ حسناً، لم أبدأ أنا بذلك.

تمتمت بهذا بصوت منخفض، شاعرة بالارتباح لأنه لم يجلس بجانبها. ولكن لهذا الأمر مساوئه أيضاً، فقد أصبح بإمكانه أن ينظر إليها دون أي عوائق. شعرت وكأنها في دائرة الضوء، وقد تركزت عيناه القاتمتان الضيقتان عليها. بللت شفتيها وحاولت أن تتحدث بعفوية: «أرجو... أرجو أن تخبرني لماذا تظن أن إدوارد خائف».

وسكتت، وعندما لم يجب، تابعت: «أنت تتصرف وكأنك تملك كل الأجوبة، لكنك لم توضح ماذا تعني».

ـ هل قلت أنا إن لديّ كل الأجوبة؟.

سألها رافعاً حاجبيه باستفهام، فأدركت أنها لن تحصل منه على إيضاح حقيقي. جلّ ما كانت ترجوه هو أن تحصل منه على نتف من معلومات يمكنها أن تستخدمها لانتزاع الحقيقة من أخيها. لكن اليخاندرو لم يكشف لها شيئاً.

قالت فجأة تغير الموضوع: «ماذا عن اقتحام شقة إدوارد. أنكرت معرفة أيّ شيء عن ذلك عندما ذكرت أنا هذا للسيدة اسكويفال، لكنك تعلم مثلي أن هذا ليس ما قلته لي».

ـ أحقاً أعلم؟.

ومرة أخرى أخذ يتصنع البلاهة، فأشاحت بوجهها عن نظرته المتهكمة. لم تستطع أن تصدق أنهما، منذ دقائق، كانا متعانقين. ومع أنها ما زالت تشعر بالخجل، إلا أن اليخاندرو يبدو بكامل برودته وتمالكه لنفسه. حتى أنها كادت تعتقد أنها إنما تخيّلت كل ما حدث بينهما.

اغرورقت عيناها بالدموع فأخذت تغالبها، لن تدعه يرى أنه آلمها بقدر ما أذلّها. قد تحتقر نفسها لكنها لا تريد أن يرى ذلك. دام صمتها مدة طويلة، وكان هو ينتظر جوابها وأخيراً قال: «ربما عليك أن تخبريني عما تشعرين به بالنسبة إلى اقتحام الشقة، يا عزيزتي. أتظنين أن ذلك كان، كما يقولون، من فعل بعض مدمني المخدرات؟ أم ربما كان... تحذيراً؟ هل لدى أخوك أعداء لا نعرفهم؟».

تعليقه هذا لفت انتباهها. ومسحت عينيها قبل أن تلتفت إليه: «أي أعداء؟».

سألته بجمود وهي تتذكر الكومبيوتر الموضوع على الرف في شقته.

ـ من يعلم؟ ولكن ربما حان الوقت لتسأليه.

فابتلعت ريقها: «أنا أسألك أنت».

ـ أعرف هذا، لكنني لا أستطيع أن أجيبك.

فهزت رأسها: «لا تستطيع أم لا تريد؟ هل أنت واثق من أنك لا تستمتع بذلك؟».

ـ أستمتع بماذا؟.

ـ بإثارة اضطرابي... بقولك إن عملية السلب قد تكون تحذيراً.

ورغم جهودها، اهتز صوتها: «لِمَ لا تكون صادقاً معي من باب التغيير؟».

ـ كما كنت أنت معي؟.

قال هذا بكآبة فحدّقت إليه بحيرة: «كما كنت أنا معك؟ ما الذي

www.elromancia.com

تتحدث عنه؟».

ـ هذا غير مهم.

ونظر خلفه: «هل يمكن أن أقدم لك مزيداً من الشراب؟».

ـ لا أريد شيئاً ما عدا الحقيقة.

ردت عليه وهي تهتز، ثم أضافت بحزم: «لا بأس! إذا لم تشأ أن تخبرني عما تعرفه عن اقتحام الشقة، فربما بإمكانك أن تخبرني عن المشاكل الشخصية بين إدوارد ولورين. هل هي متورطة مع شخص آخر؟».

أطلق اليخاندرو زفرة، وقال: «لماذا تفترضين أنني أعلم هذا؟».

فقالت بعناد: «لأنك... مقرّب منها، ويبدو أنها تثق بك. وإذا كان هناك من يعلم ما تفعله لورين فهو أنت».

ـ أنت تبعثين الغرور في نفسي.

ونهض واقفاً: «حتى لو كان كلامك صحيحاً، وأنا هنا لا أعترف بشيء، أفهمت؟ فعليك أن تعلمي أنني سأحترم سرّها كما احترم سرّك».

ـ تحترم سرّي؟.

قالت هذا بازدراء، قبل أن تتابع: «لم تظهر لي قط أي احترام. بل على العكس، كل ما فعلته هو أن تضمن أنني لن أستطيع أن...».

جاهدت للسيطرة على نفسها، مدركة أنه ينظر إليها الآن بفضول. التعبير الذي بدا على وجهها أو ربما الإخلاص المعذب في صوتها، نبهه إلى حقيقة أنها كانت على وشك أن تدلي إليه بخبر ما. وانتظر منها أن تستمر، لكن هذا لن يحدث أبداً.

وقفت مترنحة، شاعرة بضعف بالغ، وقالت: «أريد أن أرحل الآن. ربما بإمكاني أن أستدعي سيارة أجرة».

ـ هذا ليس ضرورياً. سيأخذك كارلوس.

ثم سكت ونظر إليها بعينين ضيقتين: «هل أنت واثقة من رغبتك في

الرحيل؟ أنت لم تنهي حديثك».

ـ لم يكن ذلك مهماً.

قالت هذا كاذبة، ومدركة أنه لم يصدقها: «في الواقع، أشعر بوعكة صحية. وأنت لا تريد أن يظن أصدقاؤك أنك كدرتني».

ـ حتى ولو كان ذلك صحيحاً؟.

واجهها بهذا وقد ازدادت الحرارة في صوته وكأنه يشعر بالأسى لأجلها وهو ما لا تطيقه: «أنا آسف إذا خيّبت أملك، يا آبيغايل. لم يكن ذلك قصدي. لكننا جميعاً بشر. وأنت كما كنت دوماً، امرأة جذابة للغاية. وآسف إذا تجاوزت حدي».

ـ ودوماً أنت مليء بـ...

وسكتت فجأة ثم تابعت: «المعذرة، يا سنيور فارغا. لكنني أظن أنني سأتقيأ».

طبعاً لم تعد تشعر بالغثيان حين جاء كارلوس ليعيدها إلى فيلا اسكويفال.

ـ هل أنت بخير، يا سيدتي؟.

سألها السائق وهو يقف أمام بوابة الفيلا. وتساءلت آبي عما إذا كان يعرف ما حدث، فقد ودعها اليخاندرو بأدب ولكن ببرودة بالغة. ولا بد أن السائق لاحظ أن موقف سيده مختلف جداً عن موقفه عند استقبالها. ولكن أتراه أحس أيضاً بالعداء الذي كان بادياً بينهما.

حدثت نفسها بأنها لا تهتم بذلك، وقالت بابتسامة مرغمة: «أنا بخير، شكراً. لكني متعبة قليلاً. أنت تعرف تأثير السفر بالطائرة».

أومأ كارلوس، لكن شعوراً تملكها بأنه أذكى مما تظن.

وفكرت بمرارة في أنها الآن امرأة حزينة. وربما ليست هذه المرة الأولى التي يعيد فيها كارلوس امرأة حزينة إلى بيتها بعد أن ينبذها اليخاندرو. لا بد أن يقوم أحد ما بذلك، واليخاندرو لا يفعله بنفسه.

شعرت بالارتياح حين دخلت الفيلا ولم تجد أثراً لأحد. ظنت أنها

تسمع أصواتاً من الفناء الداخلي، لكنها لم تتوقف لتتحرى ذلك. تذكرت أن الأسرة تتوقع ضيوفاً هذا المساء، ولم يكن لديها رغبة في رؤية أحد. إنها تريد اللجوء إلى سريرها فقط والفرار من أفكارها إلى عالم النسيان.

أخبرت الخادمة التي أدخلتها بأنها ستذهب مباشرة إلى السرير، ثم ركضت صاعدة إلى غرفتها ولم تتوقف إلا بعد أن أغلقت الباب خلفها. وفكرت بتعاسة بأن هذه هي عادتها، تهرب من المشاكل وتختبىء في غرفتها. وما زال عليها أن تواجه الشعور بالذنب الذي تملكها لخيانتها روس.

كانت تعلم أن روس يتوقع اتصالاً منها. ولكن لا سبيل إلى التحدث مع خطيبها بشكل طبيعي، فيما هي لا تزال تشعر بذراعي اليخاندرو وآثار عناقه. سيسمع روس التردد في صوتها، فما فعلته لا يقبل الصفح.

لماذا عانقها بتلك القوة؟ هل هي طريقة يريها فيها مبلغ عجزها أمامه؟ أم هو جوابه لإدوارد ليفهمه أن ما كان عليه أن يرسل امرأة للقيام بعمل رجل؟.

عندما اندست في فراشها، كان الوقت قد تجاوز الحادية عشرة، لكنها لم تستطع النوم. كانت متعبة، لكن ذهنها أكثر نشاطاً من أن يسمح لها بالنوم. بقيت أحداث المساء تدور في رأسها، وكيفما نظرت إليها، كان عليها أن تعترف بأن اللوم في ما حصل يقع عليها كما يقع على اليخاندرو.

. . . يا إلهي! ما زالت تشعر بهذا الحب الذي يكتسح قلبها مدمراً إياها. . .

ولكن لماذا؟ لماذا؟ واغرورقت عيناها بالدموع. هل تهون عليها كرامتها إلى هذا الحد، بحيث أن أي رجل يعانقها سيحصل على نفس النتيجة؟ لا! بل هو اليخاندرو . . . اليخاندرو فقط! إنه أشبه بالحمّى في

دمها، و. . . تبّاً له، إذ يبدو أنها لا تستطيع أن تصرفه من ذهنها.

تعرفت آبي إلى اليخاندرو فارغا قبل عرس أخيها بثلاثة أيام. كانت قد وصلت من انكلترا قبل ذلك بيوم واحد، منهكة من السفر بالطائرة لا سيما وأنها المرة الأولى التي تسافر فيها. كانت لا تزال مأسورة بما تراه حولهامن ثراء وجمال عندما نزلت إلى البركة في الصباح التالي لكي تسبح.

السيدة اسكويفال طمأنتها يومها أن بإمكانها أن تعتبر البيت بيتها أثناء إقامتها. ولم تستطع آبي أن تنتظر وصول إدوارد قبل أن تستغل برودة المياه اللذيذة المنعشة.

كان أخوها ما زال يعيش في شقة مع اثنين من الطهاة في المطعم الذي يعمل فيه. ورغم أنه جاء لزيارتها الليلة الماضية، بدا واضحاً لأخته أن علاقته بأسرة اسكويفال ما زالت علاقة المرؤوس برؤسائه.

لكن مقابلتها للورين طمأنتها، فقد بدت غارقة في حب خطيبها الإنكليزي. ورحّبت بآبي كأخت لها، وسألتها عن طفولة إدوارد مبدية تعاطفها مع آبي لأنها تولت مسؤولية تربية أخيها وحدها.

كانا يبدوان سعيدين جداً معاً. وآبي، التي كانت تتملكها بعض الشكوك بالنسبة إلى الزفاف، وافقت تماماً بعد أن رأت حرارة لورين وإخلاصها. ولأول مرة في حياتها رأت إدوارد واقفاً على قدميه، وأصبح بإمكانها هي أن ترتاح.

كانت آبي قد اتفقت مع إدوارد على أن يأتي عند الصباح فيرافقها لرؤية معالم المدينة. لكن البركة بدت مغرية للغاية، فغطست في مياهها وسبحت عدة أشواط قبل أن تدرك أن شخصاً ما يقف على ضفاف البركة يراقبها.

ظنته في البداية إدوارد، فاقتربت منه وهي تبعد شعرها عن عينيها، وإذا بها ترى أنه ليس أخاها. بدا هذا الرجل طويلاً جداً، ذا بشرة سمراء ورجولة ساحقة، بالرغم من الحر، كان يرتدي بذلة رمادية رائعة

التفصيل. وضع يديه في جيبي بنطلونه ما جعله يبدو مهيباً ووسيماً للغاية في الوقت نفسه.

انحبست أنفاسها وهي تحاول أن تخمّن هوية هذا الزائر. لقد قابلت عدداً من أفراد أسرة لورين في الليلة الماضية، لكنها كانت واثقة من أنها ستتذكر هذا الرجل لو سبق لها أن رأته.

كانت في البحيرة في وضع غير ملائم. تمنت لو أن ثوب السباحة الذي ترتديه أجمل مما هو. ثم سبحت إلى أحد جوانب البركة حيث تركت المنشفة. خرجت من الماء، وبعد أن لفّت المنشفة حول وسطها كالمئزر، منحت الرجل ابتسامة مترددة: «إنه صباح جميل للغاية، وأظنك اعتدت عليه».

فأومأ: «أظنني كذلك».

منحها ابتسامة وخزتها. كان في صوته لكنة خفيفة، تماماً كما يتحدث أفراد أسرة اسكويفال. وتابع يقول: «لا بد أنك آبيغايل، أخت إدوارد. أليس كذلك؟».

فابتلعت ريقها: «هذا صحيح».

لم تكن واثقة من أن عليهما أن يتصافحا... فتقدمت منه مرتبكة: «هل تعارفنا من قبل؟».

ـ ليس قبل هذه اللحظة، مع الأسف.

وحلّ مشكلتها بالتقدم إليها، ثم انحنى يُقبل يدها بعد أن مدتها نحوه: «مرحباً بك في ميامي، يا آبيغايل. أنا سعيد بمعرفتك».

حدّقت آبي إليه عدة لحظات غير قادرة على قول شيء. كانت لا تزال تشعر بلمسة شفتيه على يدها، وحرارة أنفاسه على بشرتها. كان تجاوبها معه سريعاً غير متوقع، مسبباً للاضطراب، وما جعلها غير قادرة على الكلام، شاعرة بضعف لم تشعر بمثله من قبل.

ولكن كان عليها أن تقول شيئاً. تراجعت خطوة عنه وسألته: «وأنت...؟».

ـ عفواً يا عزيزتي. نسيت أننا لم نتعرف بعد إلى بعضنا البعض. أنا ابن خال دولوريس، اليخاندرو فارغا، وأنا سعيد جداً بمقابلتك يا آبيغايل. يجب أن تستمتعي بزيارتك إلى فلوريدا إلى حد يجعلك تعودين. أليس كذلك؟.

ـ لا، أعني نعم.

شعرت بالاضطراب. وأدركت أن المنشفة تكاد تنزلق عن خصرها فأسرعت تسوّيها حولها: «أرجو ذلك».

وابتسم لها مرة أخرى فشعرت بسرور بالغ. لكن وجهها كان حاراً متوهجاً وشعرت أنه أصبح كالطماطم الناضجة.

ـ بالطبع!.

قال هذا، وشعرت آبي بالارتياح، أو بالأحرى بخيبة أمل حين لم يحاول أن يقف في طريقها بل تَنَحّى جانباً سامحاً لها أن تصعد الدرجات التي تؤدي إلى الفناء الداخلي. ثم قال وهي تصل إلى قمة الدرجات: «أنا واثق من أننا سنتقابل مرة أخرى وقريباً جداً. إلى اللقاء».

فتمتمت بحماقة: «أنا... إلى اللقاء».

لم تعلم ما عليها أن تقول. نظرت خلفها متوترة، ثم أسرعت تدخل المنزل. لكنها لامت نفسها فيما بعد، فقد كانت واثقة من أنه يتسلى بارتباكها وعدم حنكتها. تهذيبه الطبيعي فقط هو الذي أنقذها من هذه المقابلة المربكة. لكن هذا لم يمنعها من التساؤل عن رأيه فيها. ربما ظن أنها لم تتعود التحدث إلى الرجال. وهذا لسوء الحظ، كان صحيحاً تماماً. وربما شعر بالأسف. بل.. لا شك أنه شعر بذلك، وهذا ما جعله يتصرف بشكل غير مألوف لكي يريحها من الارتباك. لقد بدا مختلفاً عن كل من تعاملت معهم من رجال. لماذا كان يراقبها؟ وما الذي جعله يهتم بها؟.

بالرغم من وعد إدوارد لها بأن يأخذها لكي تتفرج على المدينة، بدا أكثر اهتماماً بالترتيبات الأخيرة لشهر عسله. أما أسرة اسكويفال فبدت

مشغولة بالاستعداد للزفاف. وهكذا وجدت آبي الوقت يمرّ ثقيلاً.

كان الكثير يحدث حولها. فالمنزل أخذ يمتلىء بالأزهار، وناصبو السرادق ومتعهدو الأطعمة يتجولون في المكان، يتحدثون عن عدد الضيوف والأطعمة مع السيدة اسكويفال. فإذا رغبت آبي بالنزول إلى البركة كان عليها أن تمر بدزينة من أزواج العيون السوداء.

اقترحت أن تخرج وحدها، لكن والد لورين لم يكن متحمساً لهذه الفكرة: «أنت غريبة هنا. ولا تعرفين الطرق».

قال لها هذا أثناء العشاء في اليوم الثاني من وصولها. ثم نظر إلى أخيها: «إدوارد سيعتني بك. لديك وقت فراغ لأجل أختك، أليس كذلك؟ عليك أن تحرص على عدم إهمالها».

وطبعاً كان إدوارد سيسعد والد زوجته المستقبلية بأي شيء. لكنه غاب أغلب النهار. وقال إنه سيأتي صباح اليوم التالي، ولكن عندما وصل اليخاندرو كانت آبي لا تزال بانتظاره.

كان الرجل الكوبي يرتدي ملابس أقل رسمية، كما لاحظت آبي. ومع ذلك بدا قميصه الأسود المقفل وبنطلونه الكاكي أنيقين وغاليي الثمن. ولكن كل ما فيه حسن، كما فكرت بحسد وهي تراقب رشاقة حركاته وتناسق جسمه.

عندما وصل لم تكن دولوريس موجودة، فدخل بإلفة هادئة. ابتسم لرؤيته آبي جالسة على مقعد مستطيل وبجانبها كتاب مفتوح، وركبتاها مرفوعتان إلى ذقنها وقد أحاطتهما بذراعيها بكآبة.

ـ هل أنت وحدك؟.

أجفلها صوته، فأسرعت ومدّت ساقيها على الفور ومرّت بيد متوترة على شعرها الذي بدا أشبه بالهالة. قالت وهي تنظر بسرعة حولها: «السيدة اسكويفال في مكان ما هنا. هل تريدني أن أناديها؟».

وإذ همت بالنزول رفع يده يمنعها: «لا. لم أحضر إلى هنا لأعطّل دولوريس عن عملها. لديها ما يكفيها، فأنا أعرف ابنة خالي. كل شيء

يجب أن يكون على أحسن وجه؛ العروس، الأزهار، الخدمة..».

بدا واضحاً أنه يهزل فقد كانت عيناه تلمعان دعابة ومرحاً. ثم سألها وهو يجلس على أقرب مقعد: «وهكذا، ما هو برنامجك لبقية هذا النهار؟ هل سيأخذك أخوك ليريك معالم المدينة؟».

فأجابت بنبرة من خيبة الأمل: «لا أدري ماذا يفعل إدوارد. فأنا أكاد لا أراه منذ وصولي».

فقطب جبينه: «لا ترينه؟ لكنه أمس...؟».

ـ جاء في وقت العشاء.

قالت هذا ثم شعرت بشيء من عدم الوفاء للحديث عن أخيها بهذا الشكل، فأضافت بسرعة: «كما أنه مشغول جداً. إنه، ولورين، سيذهبان إلى «بالي» لقضاء شهر العسل، وهو يريد أن يتأكد من أن كل شيء على ما يرام وأن ليس ثمة عائق من ناحية جوازات السفر ومكان الإقامة وما أشبه».

سكت اليخاندرو لحظة، ثم قال بهدوء: «يفترض أن تهتم شركة السفر بمثل هذه التفاصيل. ولكن من يعلم؟ ربما كان إدوارد مثل دولوريس. إنها تقلق أكثر مما ينبغي».

لكن آبي كانت تعلم أن إدوارد لا يشبه حماته المستقبلية. فهو لم يقلق بشأن أي شيء في حياته. لكنها لم تقل ذلك. فهذا الرجل غريب بالنسبة إليها، ومجرد كونه ابن خال دولوريس ليس سبباً يدعوها إلى الإفضاء إليه بشيء.

بدا وكأنه توصّل إلى قرار: «حسناً، ربما تسمحين لي بأن آخذك في جولة في المدينة، أنا لا أعدك بأنني أعرف كل شيء عنها، فقد ولدت في هافانا، لكنني عشت هنا أكثر من عشرين عاماً حتى أصبحت أعتبر المدينة موطني».

توهج وجه آبي وقد تأكدت من أنه يشفق عليها: «ولكن هذا ليس ضرورياً... أعني، يمكنني أن أنتظر...».

فقال متهكماً: «تنتظرين إدوارد؟ نعم، يمكنك ذلك. لكنني راغب في تقديم نفسي مرافقاً لك. ما رأيك؟».

وأخذ يتفحص وجهها.

ماذا بإمكانها أن تقول؟ بل ماذا عليها أن تقول؟ كانت تريد أن تذهب... طبعاً تريد ذلك. ولكن هل ينبغي لها أن تذهب؟ وهل سيوافق إدوارد على ذلك؟ ولكن... هل تهمها موافقته؟.

ـ هذا لطف كبير منك، إذا كانت دولوريس لا تحتاجني لمساعدتها...

ـ سنأتين...

فتنفست بعمق: «لا بأس».

قالت هذا بضعف ثم نظرت إلى بنطلونها الجينز: «عليّ أن أغيّر هذا أولاً».

ـ حسناً جداً.

قال هذا ووقف. وفي لحظة خاطفة بدا قريباً منها إلى درجة أحست فيها بحرارة جسمه.

ـ سوف... سوف أغير ملابسي ولن أتأخر.

غسلت آبي وجهها بالماء البارد لكن ذلك لم ينفع، فعندما نظرت إلى وجهها في مرآة الحمام وجدت أنه لا يزال شديد التوهج. ولكن ماذا تراها تتوقع؟ إنها لا تتلقى دعوة كل يوم من رجل جذاب مثل اليخاندرو فارغا. وسواء كان ذلك شفقة منه أم لا، فهي مصممة على الاستمتاع بهذه الرحلة.

لحسن الحظ، كانت قد أحضرت معها بعض الملابس الجميلة، واختارت ثوباً تبنياً بسيطاً ذا حواشٍ مطرزة، وتنورة تظهر جمال ساقيها الطويلتين المتناسقتين. لا أحد على الإطلاق يمكنه أن يتهمها بالنحافة، كما أخذت تفكر بأسى وهي تتمايل أمام المرآة. لكنها كانت نحيفة في كل الأمكنة المناسبة. وبضفيرتيها المتدليتين شعرت أن ثقتها بنفسها

كبيرة. كان وجهها لا يزال متوهجاً، ولكن لا حيلة لها في ذلك. على الأقل فإن اختيارها لهذا الثوب التبني اللون يمكنه أن يخفف من توهج شعرها الناري.

انتعلت حذاءها الخفيف ثم غادرت غرفتها إلى الطابق السفلي. ورأت اليخاندرو ينتظر في المدخل الرخامي، وأدركت من نظرته أن اختيارها كان صائباً. قال لها على الفور: «أخبرت دولوريس أنك خارجة».

وأخذ ينظر إليها مقيّماً مظهرها باستحسان واضح ثم أضاف: «تبدين حلوة يا عزيزتي. تعالي، سيارتي في الخارج».

ـ ولكن ماذا عن لورين؟.

ـ قبل لي إن لورين ذهبت إلى الخياط لآخر قياس لثوب عرسها.

ونظر إلى الخادمة بشيء من فروغ الصبر: «أخبري سيدتك أن الآنسة ستعود بعد الغداء».

فقالت له آبي: «أليس عليّ أن أقول وداعاً لدولوريس؟».

فابتسم ساخراً: «هذا إذا كنت تريدينها أن تشعر بأنها مرغمة على أن تكون معنا بصفة حارس لك. لعلها تظن أن أخاك يرافقنا. وأنا لم أقل شيئاً يصحّح ظنها هذا».

ـ حسناً... لا بأس...

تمتمت آبي بذلك بضعف، مدركة أنها ربما تجازف بالخروج وحدها معه. وما إن خرجت إلى الشمس الساطعة حتى هتفت: «يا له من صباح رائع! من المؤسف البقاء في المنزل».

أومأ اليخاندرو برأسه وهو يتجه إلى سيارة ليموزين فارهة تقف أسفل الدرجات. وبعد أن ساعدها على الدخول إلى حيث غمرت حواسها برودة الجلد الناعم ورائحة الصابون الغالي الثمن التي كانت تفوح منه، استدار حول السيارة ثم جلس بجانبها. قال وهو يدير المحرك: «أرجو المعذرة لجرأتي. لكني لا أحب أن يكون بيننا دخيل

www.elromancia.com

يلهينا. وأنت، طبعاً، ستغفرين لي رغبتي بأن أحتكرك لنفسي».

هزّت آبي رأسها. لم تصدقه في الحقيقة، لكنها فضلت ألاّ تتعمق في دوافعه. لقد التزمت بقضاء الصباح معه. وإذا كانت دولوريس لا توافق، فستنسى ذلك. وستواجه النتائج عند عودتها.

ذهبا إلى شاطىء ميامي، مجتازين أحد تلك الطرق السريعة التي تصل المنطقة السياحية المشهورة بفنادقها بالمدينة الرئيسية.

أوقف اليخاندرو السيارة ثم سارا ماريّن بالحانات والمقاهي التي تنتشر على جانبي الشارع العريض الذي تحف به الأشجار. وأوضح لها أن المنطقة كلها خضعت للتجديد أثناء السنوات الأخيرة. ثم أخذها إلى مقهى يعج بعدد كبير من المواطنين والسياح المتلهفين إلى تبادل الأحاديث.

وفيما بعد دخلا بالسيارة إلى قلب المدينة واستغربت آبي وجود هذا المزيج المتنوع من الأزياء والحضارات.

ومرة أخرى، أوقف اليخاندرو السيارة في أحد المواقف الآمنة، وبعد أن اطمأن إلى أنها سعيدة بالسير، أخذها في جولة إلى بعض المراكز السياحية الفخمة. كان فلاغر ستريت يحتوي على أشهر متحفين في جنوب فلوريدا، أحدهما متحف للفنون عشقته آبي، والآخر معرض للزائرين يعلمهم الكثير من الطرق للتحقق من اللوحات المعروضة.

بعدئذ ذهبا لتناول الغداء في قمة أعلى ناطحة سحاب في المدينة. وقد بدا المنظر مذهلاً حيث زرقة السماء وأشعة الشمس في المياه تؤلف مشهداً فكرت أنها لن تنساه قط.

شعرت آبي بالسرور لأنها لم تسمح لحذرها الفطري بأن يمنعها من قضاء هذا الوقت مع اليخاندرو. كان مرافقاً رائعاً، ممتعاً ومطّلعاً معاً. وقد شعرت أنها تعلمت في الساعات الأخيرة أكثر مما كانت تتصور. ورأت من جمال هذه المدينة ما لا يمكنها أن تنساه أبداً.

لم يدهشها أن اليخاندرو اختار ألوان الطعام بنفسه، فقد اختار

القريدس مع الجبن والفاكهة الطازجة. وسرّها أنها أذعنت لنصيحته، فهي لم تذق مثل هذا القريدس من قبل أو مثل هذين النوعين من عصير الأناناس والشمام.

ورغم أن حديثهما أثناء الأكل كان سطحياً عابراً، إلا أنه لم يسألها إن كانت قد استمتعت بهذه الجولة إلا بعد أن أنهيا شرب القهوة.

ـ هل هذا بحاجة إلى سؤال؟.

استغربت تشككه هذا، لكن ما إن التفتت إلى عينيه الداكنتين، حتى انتبهت على الفور إلى حميمية هذا السؤال. ومع ذلك، صممت على عدم التراجع وواجهته بجرأة: «وأنت، هل استمتعت؟».

لوى شفتيه: «هل هذا بحاجة إلى سؤال؟ نعم، لقد استمتعت كثيراً، عزيزتي. إنك . . . كيف أقولها؟ مرافقة لطيفة».

فقالت بأسف، معتقدة أن قوله هذا لا يمكن أن يكون إلا مجرد تهذيب منه: «بل مرافقة ساذجة. لكنني شاكرة لك لأنك أضعت وقتك لكي. . .».

فقاطعها: «لا. لا تقولي! شكرك ليس ضرورياً على الإطلاق. قضيت برفقتك وقتاً سعيداً. وأنا محظوظ لأنك شرفتني بذلك».

عند ذلك لم تستطع أن تمنع نفسها من الابتسام.

ـ أنت رجل طيب، يا سيد فارغا.

قالت هذا لأنها لم تعرف ما عليها أن تقول. ووضعت الفنجان من يدها ثم شبكت أصابعها على المائدة: «لكنني واثقة من أن لديك أموراً أكثر أهمية من أن تأخذني للتفرج على المدينة».

فهز كتفيه: «وإذا أخبرتك أن ليس لدي ما هو أهم من ذلك؟».

احمر وجهها قليلاً: «سأعتبر ذلك تهذيباً منك. . . وليس حقيقياً تماماً».

ـ ليس حقيقياً؟

ـ لا.

وتنهدت وهي تبسط يدها: «أنت ابن خال دولوريس، أليس كذلك؟ وقد حضرت هذا الصباح ووجدتني وحدي مرة أخرى، فشعرت بالأسف لأجلي وطلبت مني الخروج معك».

استند اليخاندرو إلى الخلف: «هل هذا هو التأثير الذي أحدثته فيك؟».

وكان عليها أن تكون صادقة: «والتفرج على المدينة يمكن أن يكون مملاً، خصوصاً وأنك رأيتها من قبل. إدوارد يكره التجوال في المتحف، وعليّ أن أعترف بأنه لا يهتم كثيراً بالماضي».

ـ وهكذا... أنقذت أخاك من مصير أسوأ من الموت إذن؟.

فابتسمت مرة أخرى بأسف: «أظن... أنه سيكون شاكراً لك عنايتك بي».

ـ أتظنين ذلك؟.

ـ بل أعلم ذلك.

طمأنته بحرارة، ثم سألت: «هل تعرف أخي جيداً؟».

ـ لقد تعرفت إليه، وفهمت أنه يعمل عند لويس في أحد مطاعمه.

ـ هذا صحيح. وهذا هو سبب تعرفه إلى لورين. لقد جاء للعمل في أميركا منذ سنتين.

استوعب اليخاندرو هذا في لحظة ثم قال: «لكنك الوحيدة من أسرته التي تحضر عرسه».

أحبت آبي الطريقة التي يمزج بها الإنكليزية بالإسبانية في حديثه: «نعم في الواقع. ما من أحد غيري. فقد مات أبونا منذ سنوات».

ـ وأمك أيضاً؟.

فترددت: «لا، لقد هجرتنا أمي منذ كنا أنا وإدوارد طفلين ولم نرها بعد ذلك أبداً».

ـ يا إلهي...!.

وعندما رأى اضطرابها أضاف بسرعة عاقداً حاجبيه: «لا بد أن

رحيل إدوارد عن إنكلترا حطمك. ألم تفكري قط في مرافقته؟».

فقالت من دون تفكير: «ما كنت لأعيق طريقه».

ـ تعيقين طريقه؟.

قال هذا بفضول، فتنهدت وأجابت: «حسناً. كان لدى إدوارد وظيفة تنتظره، أما أنا... فلا».

أومأ اليخاندرو وقال: «فهمت».

وعاد يسألها: «وهل تشتغلين أنت أيضاً في أعمال المطاعم؟».

ـ أنا معلّمة، معلمة لغة إنكليزية. ليس في عملي هذا نصف ما في عمله من سحر مع الأسف.

قالت هذا وهي تلوي شفتيها بخيبة أمل. فقال ببساطة: «هذا يعود إلى وجهة نظرك. ليس كل من يزاول أعمال المطاعم يعمل في الطهي».

فقالت موافقة: «هذا صحيح».

ثم قررت أنهما تكلما عنها بما يكفي، فأضافت: «وأنت يا سيد فارغا؟ هل تشترك أنت أيضاً في أعمال المطعم؟».

فأجاب وعيناه القاتمتان تثيران فيها الاضطراب: «أنا أقوم بأعمال كثيرة، يا آبيغايل وليست كلها ساحرة أو ممتعة».

ـ أنا واثقة من أن ذلك غير صحيح. لكنك لم تولد هنا، كما قلت. هل بقية أسرتك تعيش في كوبا؟.

بقي صامتاً مدة طويلة حتى ظنت أنه لن يجيب، ثم تململ في كرسيه وقال: «نعم، لديّ أقارب ما زالوا يعيشون في الوطن. وكثيرون منهم لا يحلمون بترك وطنهم الأم. لكن لي أقارب هنا أيضاً. عندما نقل جدي أسرته إلى الولايات المتحدة، جاء معه أمي وأبي».

ـ ألم يكن لدى أمك مانع من أن تترك أسرتها وراءها؟.

انتصب في جلسته ووضع مرفقه على المائدة: «لا. أنت لا تعرفين يا عزيزتي... كانت أمي أميركية».

بدا لآبي أن هذا هو السبب في أنه يملك هذا المزيج الجميل من الشهامة الإسبانية مع النساء والحنكة الأميركية. وترددت لحظة، ثم سألت بشيء من الجرأة: «وكيف تعارفا؟».

ـ كانت أمي ممرضة تعمل في كوبا قبل الثورة. ومع الأسف، باغتتها الحرب الأهلية، فلجأت إلى أسرة أبي، وأغرما هي وأبي، ببعضهما البعض. تزوجا في السنة التي أعلنت فيها الولايات المتحدة الحصار الاقتصادي على كوبا. وقد ولدت أنا في السنة التالية.

ـ يا لها من قصة رائعة!

ـ أتظنين ذلك؟.

وسكت لحظة ثم تابع: «لقد أحبا بعضهما بعضاً. ولكن بسبب ذلك الحصار، وعدم تمكن أبي من بيع محصول أراضيه من قصب السكر، اضطرت الأسرة أخيراً إلى الرحيل. وعندما وصلنا إلى فلوريدا كنا مفلسين. لكن جدي كان رجلاً ذا عزيمة فاستثمر المال القليل الذي لديه في مجال السياحة. وإلى أن استلم أبي العمل، كان العمل قد أصبح أكثر أهمية بكثير، وكنت أنا... محظوظاً...».

ولوى ملامحه ساخراً.

ارتابت آبي في أن يكون للحظ حصة كبرى في هذا. فقد ترك اليخاندرو في نفسها انطباعاً بأنه بالغ الذكاء، ثاقب البصيرة. لكنها لم تشأ أن تلح عليه، وبدلاً من ذلك سألته: «هل ما زال جداك حيّين؟».

ـ لا، مع الأسف. أبي فقط، لكن أمي ماتت منذ خمس سنوات.

فسألته بعطف: «هل لديك أخوة وأخوات؟».

ابتسم ساخراً: «الكوبيون يحبون الأسر كبيرة. أختي الكبرى تعيش في فلوريدا أما البقية فقد تزوجوا وتفرقوا في البلاد».

سألته وهي تفكر كم هو جميل أن يكون للإنسان أسرة كبيرة: «وهل تراهم كثيراً؟ أتمنى أن ينجب إدوارد ولورين أولاداً. أنا متلهفة لأن أصبح عمّة».

ـ أو أماً؟ من المؤكد أنك تريدين أطفالاً لك.

فهتفت شاعرة بوجهها يتوهج مرة أخرى: «طبعاً أريد. لكنني لست على وشك الزواج الآن».

ـ من السهل أن تفكري بالزواج لكي يكون لك أولاد.

قال هذا بجفاء فارتجفت وهي تتصور نفسها حبلى بطفل منه، فأسرعت تداري خجلها بالقهوة لتتجنب نظراته ذات المعنى. وتمتمت: «حسناً، ما دمت لست على علاقة بأحد حالياً، فالموضوع غير وارد. أنا... أظن أن عليّ أن أعود الآن... وأنت؟».

على عكس ما قاله اليخاندرو، لم تكن السيدة اسكويفال مسرورة قط لسماعها أين ومع من كانت آبي. ويبدو أن اليخاندرو جعل دولوريس تفهم أنه رتّب مع ضيفتها أمر التحاقها بجولة سياحية في أنحاء المدينة قبل مغادرتها. بدا واضحاً أن أم لورين ظنت أن آبي استغلت شهامته.

تغيّر شعور آبي من الإحساس بالذنب إلى الاستياء ضمناً من المرأة الأخرى. ذلك أن اليخاندرو لم يتذمر، كما أنها لم تطلب منه أن يخرجها معه. واتصل بها في الصباح التالي، عارضاً عليها أن يتعشيا معاً في مطعم «الشاطىء الجنوبي» الشهير، فلم تتردد في قبول دعوته.

ولماذا لا تمتع نفسها أثناء وجودها هنا؟ خصوصاً وأن إدوارد لم يبدُ متلهفاً إلى الاهتمام بها. ورغم أن أفراد أسرة اسكويفال مهذّبون، فهي لم تشعر في بيتهم بأنها أكثر من مجرد ضيفة.

كانت الأمسية رائعة كما توقعتها بالضبط. وهذه المرة لم يكن ثمة حاجة لتجنب دولوريس، كما أن اليخاندرو بدا عديم الاكتراث برأي ابنة عمته. وعندما اقترحت على آبي أن ترتاح استعداداً لاحتفالات الليلة التالية، قلب شفتيه: «سيكون لدى آبيغايل كثير من الوقت غداً للراحة. فما الذي يمنعها من الحصول على بعض التسلية؟».

وتابع وهو يقود آبي إلى الباب: «سأعيد إليك ضيفتك سالمة».

افتتحا الأمسية في مقهى يتلألأ بالأنوار في «شارع المحيط»، مختلطين

ببعض نجوم هوليوود الذين بدوا مستمتعين بوضعهم الاجتماعي. وشعرت آبي أن اليخاندرو لم يأخذها إلى هناك إلا ليرى عينيها تتسعان ذهولاً، ولم يدهشها أبداً حين أخذها إلى مكان أكثر تحفظاً لتناول العشاء.

استمتعت آبي بالطعام الغريب وبروائح البهارات الشهية. وبعد ذلك ذهبا في نزهة على الأقدام يتفرجان على التقدم الحضاري الذي يسود «الشارع الجنوبي» ثم أمسكت آبي أنفاسها عندما أمسك بيدها شابكاً أصابعه بأصابعها.

رغم إحساسها بأنه يراها جذابة بشكل خاص هذا المساء، إلاّ أنها فوجئت تماماً حين انحرف بها إلى الظل ثم عانقها. النار التي اشتعلت بينهما أفزعته هو أيضاً، كما ظنت. ولكنه كرّر عناقه بشغف أقوى.

لم تتملكها مثل هذه الأحاسيس قط من قبل. ولم تختبر هذه الرغبات التي أخذت الآن تغلي في داخلها.

ودون تفكير تقريباً، أمسكت بكتفيه، متشبثة بياقة سترته، محاولة أن تثبّت نفسها في عالم فقدت فجأة السيطرة عليه. اختفت الجموع من حولهما، والأصوات وأنغام الموسيقى تلاشت عندما أخذت تغرق في لهب المشاعر التي أثارتها لمسته.

ـ عزيزتي...

كان صوته يفيض بالمشاعر. وبالرغم من اعتراضها، شعرت به يتراجع وهو يهمس آسفاً: «يا إلهي... ماذا تفعلين بي؟».

فتراجعت آبي بدورها وهي تشعر بالارتباك. إلا أنه همس في أذنها قائلاً: «غداً هممم...؟ سنخرج معاً...».

وطبعاً، ظنت آبي أن تلك الكلمات هي من وحي الموقف، وعندما سيعود إلى التفكير في ذلك، سيدرك أن ما من شيء يجمع بينهما. كما أخذت تفكر مرتجفة عندما استلقت على فراشها تلك الليلة.

أقيم العرس عند العصر، وبدت لورين عروساً رائعة الجمال. ولم تكن آبي فخورة بأختها قط كما كانت وهو يقف بجانب عروسه مرحّباً

بالضيوف. وكما قال اليخاندرو مازحاً، لم تترك دولوريس شيئاً قط للمصادفة، فكل تفاصيل الاحتفال وحفلة الاستقبال التي تلت نظمت بدقة.

ورقص العروسان رقصة الفالس الشاعرية قبل أن يذهبا ليستعدا لرحلة شهر العسل.

بعد أن غادر العروسان إلى المطار، لجأت آبي إلى الحديقة لتجلس بجانب النافورة. كانت تشعر، أغلب الوقت، بالغربة. خلعت حذاءها العالي الكعبين وقد تملكها السرور لأن كل شيء مرّ على ما يرام. كان ضيوف أسرة اسكويفال جميعهم تقريباً من أصل كوبي. فشعرت أنها تختلف عنهم في كل شيء تقريباً.

جميعهم ما عدا اليخاندرو، كما أخذت تفكر وهي تستلقي على مقعد مستطيل وتمدّ ساقيها التماساً لشيء من الراحة. بدت والدة لورين حريصة على ألاّ تترك لأليخاندرو وقتاً يضيّعه على ضيفتهم الإنكليزية المزعجة. أمضت دولوريس معظم حفلة الاستقبال معلقة بذراعه، وكان هو أكثر تهذيباً من أن يفعل شيئاً إزاء ذلك الوضع.

ـ هنا إذن تختبئين؟

جاء صوته من جوف الظلام. ورغم أن بقية الحديقة كانت تسبح في الأنوار للمناسبة، إلا أن الخدم أطفأوا كثيراً من المصابيح حول المنزل. وهكذا أصبح اليخاندرو في الظل إلى أن اقترب منها وصار بإمكانها أن ترى وجهه.

ـ كنت... كنت فقط أريح قدمّي.

قالت هذا بارتباك، متسائلة إن كان بإمكانها أن تلبس حذاءها دون أن يلاحظ: «كانت أمسية متعبة».

ـ لكنها ناجحة جداً.

قال هذا وهو يزيح قدميها جانباً ليجلس على طرف المقعد: «بدا أخوك وعروسه متلائمين، أليس كذلك؟».

ابتلعت آبي ريقها: «كان عرساً رائعاً».

ثم أردفت: «أليس عليك أن تكون مع بقية الضيوف؟ لقد ابتدأ الرقص. أنا واثقة أن دولوريس تبحث عنك».

فقال برقة: «لقد قمت بواجبي، يا عزيزتي. العروسان رحلا، وبقية السهرة أصبحت ملكي... ملكنا».

صحح كلامه وأصابعه تلتف حول معصمها بشكل متملك: «تعالي يا عزيزتي. أريد أن آخذك في نزهة بالسيارة».

أدركت آبي أن عليها أن ترفض دعوته. كانت تعلم جيداً أن دولوريس لن توافق. وبما أنها راحلة إلى بلادها غداً، عليها الآن أن تحزم أمتعتها. ولكن مضيفيها مشغولان بضيوفهما ولا أحد سيلحظ خروجهما. وسمحت لاليخاندرو، شاعرة وكأنها لصة، بأن يهرّبها إلى سيارته. وكان هواء الليل يبرّد صدغيها.

سارت بهما السيارة فترة على شاطىء البحر، فشمّت هواء البحر شعرها. وكانت قد جعلته ضفيرة على الطريقة الفرنسية أثناء العرس، لكنها تخلّت الآن عن كل أمل في إنقاذ الخصلات النارية التي راحت تطير مع الهواء حول وجهها. هذا إلى أنها شعرت بأن اليخاندرو يفضّل شعرها منسدلاً، رغم عدم انضباطه.

وأخيراً ابتعدا عن الشاطىء، قاد اليخاندرو السيارة في الشوارع الفسيحة التي كانت مصابيحها تنير المنازل الباهتة الألوان والحدائق العامة بنوافيرها الفوّارة.

يقع المنزل الذي أخذها اليخاندرو إليه في شارع «أولد أوكرا»، وهو ذو طابع إسباني أصيل. أدخلهما خادم، وحسب أوامر اليخاندرو، تركهما وخرج، ما جعله يأخذها بنفسه في جولة يريها فيها منزله.

أكثر ما تذكرته آبي في ذلك المنزل هو المدفأة الفسيحة المزخرفة بقرميد إيطالي، والتي تحتل نصف جدار في غرفة الجلوس. وبركة السباحة الواسعة البيضاوية الشكل التي كانت مضاءة من الأسفل والتي تتألق

بجمال فيروزي في الظلام. كما أنها تذكرت الجناح الرئيسي للنوم والسرير الفسيح المربع الذي يزينها.

سكب اليخاندرو كوبين من العصير ثم فتح الباب المؤدي إلى الفناء الداخلي. خرجا معاً وهما يحملان كوبيهما. هتفت مسرورة لجمال بركة السباحة: «يا لك من محظوظ! في هذا الجو، بإمكانك أن تسبح على مدار السنة. في بلادي قليل من الناس لديهم برك للسباحة، كما أن الأشهر الدافئة قليلة جداً فلا يمكنهم السباحة طوال السنة».

فهز كتفيه: «لدينا أيام باردة، نحن أيضاً. وأحياناً تداهمنا عاصفة أو إعصار تجعلنا على استعداد للهرب. هل تحبين السباحة؟».

نظرت إليه لحظة ثم أخذت رشفة من كوبها: «كثيراً جداً».

قالت هذا وهي تتساءل عما إذا كان يتذكر كيف تعارفا. فتمتم برقة: «إذن، ربما علينا أن نسبح الآن. فالجو دافىء، وأنا أضمنه».

نظرت إليه ذاهلة: «ماذا؟ الآن؟».

فأومأ برأسه.

هزت رأسها: «ليس لدي ملابس سباحة».

فقال وهو يلامس ذراعها الناعمة بأنامله: «هذه ليست مشكلة، فأختي تركت بعض أثواب السباحة هنا لتستخدمها حين تكون عندنا. وبعضها لم تلبسه قط. سأحضر لك أحدها».

وابتدأت تقول: «أنا... لا أظن...».

لكن اليخاندرو لم ينتظر ليسمع اعتراضها بل سرعان ما اختفى ليعود بعد قليل حاملاً بيده ثوب سباحة رائع، كما كان قد ارتدى هو نفسه ثوب سباحة.

ـ هاك! هذا ثوب سباحة مناسب لك تماماً، وأختي لم ترتده بعد قط.

هزّت رأسها وقالت وهي تفرغ كوبها في جوفها بجرعة واحدة، ثم تشيح بوجهها: «لا أستطيع. إذا كنت تريد أن تسبح فافعل ذلك. أما أنا

www.elromancia.com

فسأنتظر في داخل المنزل».

فهمس بصوت عاطفي: «هذا غير ممكن».

وعندما حاولت أن تبتعد عنه لفّ ذراعه القوية حول خصرها من الخلف وجذبها إلى جسده القوي: «يا لهذه الصغيرة الخجول! ألا تحبين الماء؟».

وقالت بصدق: «أنا... أنا واثقة من أن ذلك سيكون بهيجاً، لكننا نكاد لا نعرف بعضنا بعضاً. وأنا أشعر ببعض الارتباك...».

ـ لا بأس.

ثم تركها من دون كلمة أخرى ملقياً بالثوب على أحد المقاعد بالقرب منها. وعندما وقفت بجانب الباب الزجاجي مترددة، غير واثقة مما إذا كان عليها أن تتابع طريقها أو... إذا بها تسمع صوت غطس في الماء خلفها فأدركت أن اليخاندرو غطس في البركة.

عندئذ استدارت، غير قادرة على منع نفسها، ووصلت في الوقت الذي كان فيه رأس اليخاندرو ذو الشعر الأسود يعلو فوق الماء. رد شعره إلى الخلف بلا مبالاة ثم ضحك بطريقة أرسلت الحرارة في عروقها وهو يقول بأسف: «يا إلهي، شكل جسمي غير حسن، ولا بد لي من أن أعود إلى التدريب بانتظام».

رأت آبي أن هذه مبالغة منه، فجسده بالغ الجمال في الحقيقة. كل ما كان يحاول أن يفعله هو أن يجعلها تشعر بالثقة بنفسها. ربما ظن أن السبب الذي يمنعها من السباحة هو أنها تخجل من وزنها الزائد.

سألته غير قادرة على تركه والذهاب إلى المنزل: «هل الماء بارد؟».

ـ جربيه.

تقدمت وانحنت على حافة البركة ثم غطست يدها في الماء فوجدته غير بارد على الإطلاق. كم تتمنى لو أن لديها الشجاعة لتنضم إليه.

انتصبت واقفة بينما سبح اليخاندرو إلى أحد الجوانب لكي ينظر إليها متسائلاً: «ما الذي يخيفك يا عزيزتي؟».

وأخذت تتساءل... ما الذي ستخسره في الواقع؟ إنها خائفة فقط من أن تتأذى... تتأذى عاطفياً إذا ما اقتربت منه كثيراً، كما اعترفت بتعاسة. ذلك أن اليخاندرو لم يكن يشبه أي رجل عرفته. وقد ملك قلبها من دون أن يعلم، خلال أيام قليلة.

* * *

www.elromancia.com

٧ ـ حب من طرف واحد!

وكأنما تخلى اليخاندرو عن محاولة إقناعها، فاستدار وسبح ببطء بعيداً عنها. هذه الحركة تسببت في تموجات مائية امتدت إلى حافة البركة بقربها، جذبت آبي نفساً عميقاً ثم، دون أن تستطيع منع نفسها، خلعت فردة حذائها ومدت قدمها إلى الماء تختبر برودته مرة أخرى فوجدته فاتراً كالمرة السابقة. ودون أن تراجع نفسها، ركضت إلى الداخل وبدأت بخلع ثيابها لترتدي ثوب السباحة وتعود بعد دقائق إلى البركة.

بالرغم من دفء المياه الظاهر، كادت الغطسة الأولى تخطف أنفاسها. لكنها لم تفكر في ذلك. لم تفكر في أي شيء... خصوصاً في اليخاندرو. سبحت إلى وسط البركة بهدوء.

لا بد أن اليخاندرو شعر بحركة المياه، لكنها لم تسمح لنفسها بأن تفكر في ما قد يحدث الآن. فهذه آخر ليلة لها في ميامي. آخر فرصة لها لتتصرف بطيش، وغداً ستعود رزينة عاقلة مرة أخرى. فغداً سوف تستقل الطائرة عائدة إلى الوطن.

عندما برز اليخاندرو من قاع الماء إلى سطحه على بعد حوالى ستة أقدام منها، قال لها دون أن يقترب: «ها قد غيرت رأيك».

وتساءلت إن كان ما تقوم به صواباً أم لا؛ السباحة ليلاً وحدها برفقة رجل غريب!.

أجابته: «كنت أشعر بالحرارة. ليس لديك مانع، أليس كذلك؟».

وبدا هذا سؤالاً سخيفاً منها.

فقال وهو يلوي شفتيه هازلاً: «ولماذا أمانع؟ أنت حرة في أن تفعلي ما تشائين في بيتي».

ـ إنها بركة كبيرة.

قالت هذا بغباء في لهفتها إلى أن تقول شيئاً... أي شيء لكي تخفف من إحساسهما ببعضهما البعض، ذلك الإحساس الذي أخذ يتزايد بينهما. وهز هو رأسه: «هل هذا فقط ما أعجبك هنا؟ حجم البركة؟».

شعرت بوجهها يتوهج احمراراً. رغم أنه لم يلمسها إلا أن كلماته دغدغت أحاسيسها. كان سهلاً عليه أن يحرجها. لم تعرف قط رجلاً مثله يحسن التلاعب بالكلمات بهذا الشكل.

فقالت محاولة تجاهل هزله: «حسناً، أظنها بركة كبيرة. إنها أكبر من تلك التي في منزل آل اسكويفال. وأكثر عمقاً كذلك كما أظن. كم يبلغ عمقها؟».

زمّ فمه لحظة، ثم أخذ يسبح قاطعاً المسافة بينهما ما جعلها تشعر بالذعر: «طول البحيرة خمسة وعشرين متراً وعمقها أربعة أمتار في أعمق بقعة فيها. وأنا أعرف ما تحاولين أن تفعليه».

تراجعت آبي، لكن حافة البركة خلفها أوقفتها عند حدها. فأجابته بلهجة دفاع: «أنا أحاول أن أبدي اهتماماً بما حولي. قد تكون أنت معتاداً على كل ما يحيط بك، لكنني لست كذلك».

وضع اليخاندرو يداً على حافة البركة من كل جانب حتى أصبحت سجينة في دائرة بين ذراعيه ثم قال بلطف بينما عيناه تلتهبان: «لا. بل أنت تحاولين إلهائي. تظنين أنك بالثرثرة عن البركة وحجمها وما أشبه، تجعلينني أنسى السبب الذي جعلني أحضرك إلى هنا. لا سبيل إلى ذلك يا عزيزتي، فأنا رجل، وأنا لن أكون بشراً إذا لم أرغب في امرأة مثلك».

حاولت آبي أن تبقى هادئة: «ظننتك دعوتني إلى السباحة في البركة، وهذا هو سبب وجودي هنا، على أيّ حال».

فقال لاوياً شفتيه: «آه، يا عزيزتي. لم أكن أعلم أنك كذابة بهذا الشكل».

مدّ يده يمسك برقبتها وإبهامه يعبث بقرطها الذهبي: «ألا تعلمين أن وجهك يفضحك إذ تبدو اللهفة والشوق في عينيك...».

فهتفت مذعورة: «أنت تخطىء الظن بي، فأنا لم أحضر إلى هنا لكي... أنا لا أفعل شيئاً كهذا».

فقال وهو يحني رأسه ويعانقها: «كم تبدين جميلة حين ترتبكين».

ثم تابع وهو يضمها بقوة إليه: «يا عزيزتي، كم أريدك. عانقيني».

شعرت آبي بضعف مقاومتها. فقد كان عناقه عاصفاً...

لم يكن بإمكانها مقاومته. وتأوهت وهي ترتجف: «يا إلهي».

فامتلأ وجه اليخاندرو بالرضى، وسألها بصوت عاطفي أجش: «هل ما زلت خائفة مني؟».

أومأت بتردد: «الأمر ليس كذلك، ولكن... أنا...».

جعله ترددها يبتعد قليلاً عنها ليسألها بحذر: «ما الأمر؟ أنت لا تريدينني؟».

أغمضت آبي عينيها هرباً من نظراته المتفحصة. لا! لن تسمح بأن يتم الأمر بهذا الشكل فذلك ينافي كل ما تؤمن به من مبادىء.

وأخيراً شجعت نفسها: «أنا... ما زلت عذراء. ولا... لا أريد أن أفقد عذريتي قبل الزواج».

شعر اليخاندرو بالصدمة لكلامها. ما الأمر؟ ألا يمكنه أن يتخيل ذلك؟

واستجمع شجاعته هو أيضاً ليقول: «حسناً، أنت على حق. يجب أن يكون الوضع مختلفاً. أنا آسف. إنك تستحقين أفضل من هذا بالتأكيد».

ثم نظر إليها مفكراً قبل أن تلوح على وجهه ابتسامة لطيفة تحمل معانٍ لم تتمكن آبي من إدراكها. وما لبث أن حملها ليرفعها من الماء قائلاً:

«لنعد إلى منزل آل اسكويفال الآن وسوف نتحدث غداً. فهم سيفتقدوننا إذا تأخرنا أكثر».

والآن، بعد سنتين من كل ذلك، فكرت آبي وهي مستلقية في سريرها، أنها أحسنت صنعاً إذ منعته من التهور. نعم، فهو لم يكن صادقاً حين أخفى عنها حقيقة أنه لا يزال متزوجاً، حتى لو كان زواجه متقلقلاً في ذلك الوقت. كما أنه لم يحاول أن يراها مرة أخرى بعد أن عادت إلى إنكلترا.

لقد حطمها خبر زواجه أي تحطيم... وما زالت حتى اليوم عاجزة عن لملمة شتات قلبها الخائن الذي تحول إلى أشلاء.

ارتجفت وقد أصبحت الذكريات الآن أكثر إيلاماً من أن تعود إليها. هل كانت حقاً بمثل ذلك الخوف والسذاجة والاستماتة؟ كانت كالعجينة بين يديه، متجاوبة معه... ولكنها أنقذت نفسها في الوقت المناسب، وفي اليوم الثاني عرفت الحقيقة.

يومها، عانقها مرة أخرى قبل أن يدلها إلى الحمام لتستحم وترتدي ملابسها... وبعدما استحمت وارتدت ثيابها أعادها إلى منزل آل اسكويفال.

بعد عودتها إلى لندن ظلت أسابيع محطّمة، ضائعة ولكنها حدثّت نفسها بأن انفصالها عنه لخيرها.

ولكن ذلك لم يكن صحيحاً.

انقلبت آبي على بطنها وتركت دموعها تنهمر على الوسادة. لقد مرضت في تلك الفترة بعد إصابتها بعدوى قوية... ثم أصيبت بنزف قوي جرّاء تلك العدوى وقد ساعد على ذلك سوء حالتها النفسية فالرحم أكثر ما يتأثر بالحالة النفسية... وبعد قضائها عدة أيام مستلقية على ظهرها تستعيد صحتها من ذاك النزيف أخبروها بأنها قد لا تحمل يوماً.

وروس يعلم طبعاً، فقد أخبرته حين عرض عليها الزواج. ولم

تعرف ما إذا كان عليها أن تبتهج أو تحزن حين اعترف لها بأن لا رغبة لديه بأن يكون أباً على أيّ حال. كانت تحلم دوماً بأن تصبح أماً يوماً ما، ولو اضطرت إلى أن تتبنى طفلاً لكي ترضي عاطفة الأمومة داخلها.

وهذا هو السبب الذي يجعلها تبالغ في حماية أخيها، حسب ظنها. وبالرغم من المسافة البعيدة بينهما ما زالت تشعر بالمسؤولية نحوه. وهذا الأمر هو موضوع النزاع الرئيسي بينها وبين روس... أو أنه كان كذلك. وهي الآن تتساءل إن كان ثمة مستقبل لها مع أي شخص، بعد أن اتضح لها أنها لم تنس بعد اليخاندرو كما كانت تظن.

وجدت آبي فرصة للتحدث إلى إدوارد في الصباح التالي. ولأول مرة تجد أخاها متلهفاً إلى الحديث إليها. وأدركت أن السبب في ذلك هو أنها تناولت العشاء مع اليخاندرو الليلة الماضية وبدا إدوارد متشوقاً إلى سماع النتيجة. لكنها جُرحت لأنه أبدى ذلك بوضوح. ألا يهتم بمشاعرها على الإطلاق؟.

لقد قررت العودة إلى الوطن ذلك المساء، فاتصلت بالمطار قبل النزول لتناول الإفطار. وتملكها شعور هو مزيج من الارتياح وخيبة الأمل عندما وجدت أن ما من مشكلة في العثور على مكان في الرحلة. شعرت بالارتياح لأنه لم يكن عليها أن تقلق بشأن رؤية اليخاندرو مرة أخرى. لكنها شعرت بخيبة الأمل لأن زيارتها لم تحلّ أي مشكلة، وإنما حصل العكس تماماً في الواقع.

كانت تعلم أن من الجبن أن تهرب، لكن لم يكن لها حيلة في ذلك. إنها لا تحتمل أن ترى اليخاندرو مرة أخرى، بعد أن عرفت ما تعرفه الآن. وبدا لها أن الهرب هو الحلّ الوحيد. الوسيلة الوحيدة التي تستطيع بها أن تستعيد كرامتها.

كانت تجلس في الفناء الداخلي، تراجع ما ستقوله لآل اسكويفال، عندما سمعت خطوات إدوارد غير المتزنة خلفها. كان عكازاه يطرقان الأرض ليعلنا قدومه، لكنها رفضت أن تعترف بأنها سمعته. لم تكن

واثقة مما عليها أن تقول له. وبما أنها سترحل هذا المساء فهذا يعني أنها لن تتمكن من التحدث معه بصراحة كما كانت تحب.

- مرحباً!.

هتف إدوارد وهو يجلس بجانبها على الأريكة: «ألم تسمعيني قادماً؟».

- بل سمعتك. أين لورين؟.

فطرف بعينيه: «لورين؟ لا أدري. أظنها تأخذ حماماً. هل ذلك مهم؟».

- ربما.

بدت آبي هادئة. ويبدو أن إدوارد أدرك أن الأمور ليست كما ينبغي أن تكون، فسألها: «ماذا حدث؟ لماذا تمنحينني هذه النظرة القذرة؟ هل لم يعد لي حظوة عندك؟».

فترددت قبل أن تجيب بهدوء: «أخبرني...».

وسكتت لحظة ثم عادت تقول: «في الواقع، من الأفضل أن تكون صادقاً، ولو من باب التغيير».

فشخر محتجاً: «المعذرة؟ ألم أكن صادقاً معك؟ لا أدري عما تتحدثين».

- حقاً؟.

رفعت حاجبيها فضاقت عيناه وتغيرت ملامحه للحظة خاطفة، ثم هتف: «فهمت. لهذا علاقة بالليلة الماضية، أليس كذلك؟ هيا، تكلمي. أي أكاذيب حدثك بك فارغا عني الآن؟».

حدّقت إليه ثم أدركت فجأة ما يحاول أن يفعل. لكنها ابتدأت ترى أخاها على ضوء مختلف والفضل في ذلك يعود لأليخاندرو. وأدركت فجأة أنه يحاول وضعها في موقع الدفاع عن النفس. كان يأمل أن تشعر بأنها مهددة فتخبره بكل ما أخبرها به اليخاندرو.

إلاّ أنها سألته ببراءة: «ولماذا تظن أن اليخاندرو سيخبرني بأي شيء

عنك؟ ظننت أن كل ما علي أن أفعله هو أن أقنعه بأن يترك لورين وشأنها».

فعبس: «نعم، وهو كذلك. لكنني أعرف فارغا أكثر مما تعرفينه. ولا أستبعد أن يحاول استمالتك ضدي».

فكرت آبي بكلامه قبل أن تجيب: «لا أفهم. ما الذي بإمكان اليخاندرو أن يقوله لكي يحصل هذا؟».

احمر وجه إدوارد قليلاً، ثم حرك كتفيه بنفاد صبر: «لا أدري... إنه... حسناً، بإمكانه أن يحدث صدعاً بيننا لأنني دوماً مفلس».

شعرت آبي بأولى وخزات التوجس وسألته بحيرة: «دوماً مفلس؟ ما الذي تقوله؟ ألا يدفع لك والد لورين راتباً؟ لا أصدق ذلك».

فقال مدافعاً عن نفسه: «ولماذا لا؟ أنت لا تعرفين أمثال هؤلاء الناس، يا آبي. إنهم يريدون أن يعرفوا كيف أنفق كل قرش، وفي كل مرة أذهب فيها إلى ميدان السباق أجد لويس خلفي لا يفارقني».

ـ وهل تذهب إلى ميدان السباق؟.

وغاص قلب آبي. كان الأمل يراودها في أن انتقاله إلى أميركا سيشفيه من هذا الهاجس: «عدت إلى ميدان السباق، أليس كذلك؟ لقد وعدتني بألا...».

ـ لأجل الله، لماذا لا تتركيني وشأني؟ ألا يكفي اللوم المستمر من زوجتي؟ أنا مضطر للبحث عن شيء من التسلية. كوني صهراً لأسرة اسكويفال ليس شيئاً مفرحاً، صدقيني.

فتنفست آبي بحذر: «ثم... هل يعلم اليخاندرو هذا؟ أعني عن مقامرتك؟».

ـ أظن ذلك، كما يعلم أيّ شيء آخر. هؤلاء الناس يساندون بعضهم بعضاً، يا آبي. أظن أنّ «أولئك الأوغاد» في ميدان السباق هم من أصدقائه.

ـ «الأوغاد» في ميدان السباق؟.

وفجأة، وضع إدوارد عكازيه تحت إبطيه، ثم وقف مستعداً للذهاب وهو يقول باختصار: «هذا لا يهم. إنه لا يعنيك».

سألته، خائفة من جوابه ويدها على ذراعه تمنعه من النهوض: «هل أنت مدين لأليخاندرو بنقود؟ وهل هذا سبب كل شيء؟».

أطلق إدوارد شتيمة فأدهشها بعنفه. ثم تمتم غاضباً: «لا، ماذا تظنينني؟ إذا كنت مديناً لفارغا بنقود، ألا تظنين أن آل اسكويفال سيعرفون ذلك؟».

ـ لا أدري.

وبالرغم من مواجهتها مع اليخاندرو، أو ربما بسببها، لم تظن أنه يمكن أن يفشي السر: «لماذا إذن أنت خائف منه؟ ليس من أجل لورين. أنا أعلم ذلك».

ـ وكيف تعلمين؟.

لم يكن إدوارد مستعداً للتراجع بسهولة: «أنت لا تعلمين شيئاً عنا أو عن مشاكلنا. هل تعلمين مثلاً أن لورين متلهفة إلى إنجاب طفل؟ هؤلاء الناس يهتمون كثيراً بأن يكون لديهم أطفال. لقد حاولنا الإنجاب طوال سنتين ولم ننجح في ذلك».

حدّقت آبي إليه، وتذكرت ما قالته لورين حين وصولها، إن الأمور كانت صعبة عليها في الأشهر الأخيرة. إنها تعرف الآن ما عنته لورين حينذاك، وليس لأليخاندرو علاقة بذلك.

ـ ربما هذا هو سبب قضائها كل ذلك الوقت مع فارغا. ما يدريني أنه لا يحاول أن يمنحها طفلاً؟ الله وحده يعلم.

تابع إدوارد كلامه بشكل عدائي، فسقطت يد آبي عن ذراعه: «لا تكن سخيفاً».

لكنها ضغطت بيدها على معدتها وهي تعنفه، فقد شعرت فجأة بالغثيان. أكد اليخاندرو لها أن ذلك لم يكن صحيحاً، وأنه لا يهتم بتلك المرأة. ولكن هل بإمكانها أن تثق به بينما هي لا تستطيع أن تثق حتى

بأخيها؟.

سألها إدوارد وهو يحدق إليها بارتياب: «لماذا تقولين إن هذا سخيف؟ ذلك الرجل يكرهني، أليس كذلك؟ يا إلهي، ما الذي قاله ذلك النغل، بينما كنت أظنك في جلسة مريحة مع فتى عاشق؟».

انكمشت خوفاً إزاء اتهامه هذا، لكنها ما كانت لتسمح له بأن يفلت بذلك، من دون أن تحاول الدفاع عن نفسها سألته: «إذن، هذا ما كنت تريده؟».

قالت هذا غير قادرة على إخفاء الاشمئزاز في صوتها: «لقد توقعت مني حقاً أن أذهب إلى السرير مع اليخاندرو ولكن ليس لارتيابك بأنه متورط مع لورين. بكم أنت مدين له يا إدوارد؟ من الأفضل أن تخبرني، لأنني سأعرف ذلك على كل حال».

فردّ عليها بخشونة: «سبق وأخبرتك أنني لا أدين له بشيء. حسناً، فكرت بأن أطلب منه قرضاً لكنه لن يساعدني بشيء».

ـ وظننت أنه إذا أنا... إذا نحن...

ولم تستطع إكمال جملتها. وعكست ملامحها ازدراءها ولم تستطع أن تنظر إليه: «ألا تعلم أن رجلاً مثل اليخاندرو ليس مضطراً إلى دفع ثمن ذلك؟ وبجانب ذلك، أليس أنت من أخبرني أنه متزوج، فقط لكي تمنعني من تكوين فكرة عنه بنفسي؟».

فأحنى كتفيه: «ظننت أنني أقدم لك خدمة. على أيّ حال، ما شأن هذا الموضوع الآن؟».

ـ إنه وثيق الصلة. أنت تستغل الناس، يا إدوارد. لم تشأ أن أتورط مع اليخاندرو، وهكذا أخبرته كذباً أنني مخطوبة. أليس هذا صحيحاً؟.

وأدركت من وجهه أن الأمر كذلك: «لقد أدركت لتوّي ما كان يعنيه اليخاندرو حين سألني عن خطوبتي. لقد جعلته يظن أنني لا أهتم به».

ـ حسناً، أنت لم تكوني مهتمة به.

ـ وما أدراك؟.

شعرت آبي ببرودة في داخلها، برودة راحت تزداد مع تجلّي الأمور: «أنت لم تفكر في على الإطلاق. فكرت فقط بما هو الأصلح لك. ما الذي حدث يا إدوارد؟».

فشخر بصوته: «كانت هذه بداية جديدة بالنسبة إليّ. لم أشأ... لم أشأ...».

ـ لم تشأ أن أعرقل طريقك.

وشعرت بأنها مجروحة وغاضبة: «لكنك بحاجة إلى عوني الآن ففكرت في أن تستغلني مرة أخرى».

ـ لا...

ـ بل نعم.

ولم تحتمل النظر إليه: «لقد ملأتني اشمئزازاً يا إدوارد. فعلت هذا حقاً!».

وترددت، ثم قررت أنها لن تخسر شيئاً، فأضافت بألم: «لقد أحببت اليخاندرو.. نعم لقد وقعت في حبه.. وكان حباً صادقاً. ولطالما تألمت بعد أن أخبرتني أنه متزوج».

ـ لا!

هذه الهمسة المروّعة جاءت من مكان ما خلفهما، ومرت لحظة رهيبة ظنت آبي فيها أن اليخاندرو دخل عليهما، من دون أن يراه. ولكنها أدركت أن الصوت صوت امرأة، ما جعلها تقف على الفور: «لورين؟».

قالت هذا بضعف عندما خرجت المرأة الشابة من تحت ظل السقيفة: «لم أدرك أنك هنا».

ـ هذا ما يبدو.

قالت لورين هذا باتزان، لكن عينيها تحولتا إلى زوجها بتساؤل مكشوف.

ـ منذ متى وأنت هنا؟.

سألها إدوارد وهو يجاهد للوقوف على قدميه بينما راح يرمق أخته بنظرة قاتلة: «لا أدري ماذا تظنين أنك سمعت، لكن آبي كانت تنفس فقط عن مشاعرها لأنها راحلة إلى الوطن».

تجاهلته لورين وعادت بنظراتها إلى أخت زوجها: «قلتِ إنك أحببتِ اليخاندرو... لقد رأيت افتتانك به ولكنني لم أتصور أنك أحببته. لم أكن أعلم أنك تعرفين نسيب أمي جيداً. ولم أعرف أن بينكما حباً حقيقياً».

وقفت لورين تنتظر جوابها. وتنفست آبي بعمق لتهدىء نفسها قبل أن تقول بفتور: «كان حباً من جهة واحدة».

تركت، بذلك، أخاها خارج الموضوع، لأنها لم تشأ أن تتحطم علاقته بزوجته على يدها: «ما كان يجب أن أقع في حبه بهذه السرعة ولكن ذلك كان فوق إرادتي».

ضغطت لورين يدها على فمها: «آبي. كم أنا آسفة فلا بد أن هذا حطمك؟».

واغرورقت عيناها بالدموع.

لم تستطع آبي أن تتركها تظن ذلك، فقالت كاذبة: «لم يكن الأمر سيئاً إلى هذا الحد. حياتي بدون اليخاندرو كانت أفضل لي».

فأومأت لورين: «طبعاً. لقد فهمت الآن لماذا فصمت خطوبتك. لقد أخبرنا إدوارد بما حصل، لكنه لم يخبرنا السبب».

ـ لا.

وأرغمت نفسها على عدم النظر إلى أخيها. لقد اشتبهت في ما فعله، لكن لورين أكدت شكوكها الآن بطريقة لا تقبل الجدل.

ـ والآن، أعذراني فعليّ أن أذهب لأحزم أمتعتي لأني راحلة عند العصر. عليّ أن أعود إلى إنكلترا كما تعلمان.

فهتفت لورين: «ولكن ماذا عن اليخاندرو؟ أظنك ما زلت تحبينه.

إنه يستحق أن يعلم بالأمر».

ـ لا!.

ـ يا إلهي، لا.

ردّ إدوارد وآبي معاً في وقت واحد، وهذه المرة منحها أخوها كل مساندته. وزمجر يقول: «إياك أن تشجعيها على إقامة علاقة معه... ألا يمكنك أن تفهمي ذلك؟».

فقالت له لورين متهمة بصوت واضح: «أظنك خائفاً من أن يلومك يا إدوارد. كنت قادمة لأخبرك يا عزيزي أنهم عثروا على الرجال الذين اقتحموا شقتنا. شك اليخاندرو في الأمر بعد أن علم أنك مدين بمبلغ من المال لبعض الناس في «هيالاه بارك»، وبمساعدته أصبح بإمكان الشرطة أن تقبض على المجرمين».

***

٨ ـ لا خداع بعد اليوم

أخذت آبي سيارة أجرة إلى شقتها الصغيرة في «توتنغ هيل» عندما عادت إلى لندن. فقد فكرت بأن الوقت متأخر، وأن روس لن يتمكن من أن يأتي لاستقبالها في المطار فيفوته أول صف في المدرسة. لكن ما كانت تشعر به في أعماقها هو أنها لا تريد أن يأتي خطيبها إلى المطار. لم تشأ أن تمضي أكثر من ساعة في الحديث أثناء رحلتهما إلى بيتها.

في الواقع، تعمدت الغموض إزاء ما تنوي عمله عندما تحدثت إلى روس قبل أن تغادر فلوريدا. إذ لم تكن قد قررت بعد ما ستفعل، مع أن ذلك لم يكن صحيحاً تماماً، فهي تعلم أن عليها إيجاد طريقة تفصم بها خطوبتها. ولن يكون ذلك سهلاً، حيث أن الأمور لم تتغيرّ بالنسبة إليه. لكنها تغيرت كثيراً بالنسبة إليها. بعد أن دفعت أجرة السيارة، أخذت تبحث في حقيبة يدها عن المفتاح. بدا واضحاً أن اليخاندرو يحتقرها لاعتقاده بأن السبب الوحيد الذي جعلها تسمح له بأن يلمسها هو رغبتها في إنقاذ أخيها. وقد فات الأوان الآن على إخباره أنها عندما عانقته لم تكن تفكر في إدوارد. . . حتى ولو رغب في سماع ذلك. علاقتهما بأكملها كانت مليئة بالأكاذيب وأنصاف الحقائق، ورغم أن الذنب لم يكن ذنبها، إلا أنه لن يصدقها أبداً.

كانت لورين قد توسلت إليها لئلا ترحل قبل أن تراه. لورين التي أوضحت بسهولة نوع علاقتها باليخاندرو حين اعترفت بأنها تتلقى

علاجاً لكي تحمل، وأن اليخاندرو يدفع لها الفواتير. كانت متلهفة إلى إنجاب طفل، كما قال إدوارد! ولم تشأ أن تخبر والديها أو تقلق زوجها وهي تعلم أنهم بحاجة إلى نقود.

وطبعاً، أكد أخوها أنه لا يعلم شيئاً عن ذلك. وسواء كان يعلم أم لا، فإن آبي لم تتأكد من ذلك، لكنها شعرت بالارتياح عندما علمت أن لورين ما زالت تحبه بالرغم من أخطائه. حتى أنها تنوي أن تطلب من أبيها أن يقرضهما المال ليسدّد ديونه. ومع أن آبي تكهنت بأن أخاها سيواجه بعض الأوقات الصعبة، إلا أنها عزّت نفسها بأن تلك هي الطريقة الوحيدة التي ستجعله يتعلم درساً قاسياً في الحياة.

ليتهم جميعاً يحصلون على مثل هذه النهايات السعيدة، كما أخذت تفكر بأسى وهي تضع المفتاح في القفل وتفتح الباب. أدهشها ألاّ تجد كومة من الرسائل أمام العتبة كما توقعت. وعندما ذهبت إلى غرفة الجلوس، سمعت صوت الراديو في المطبخ. على أيّ حال، لم يكن لديها وقت تشعر فيه بالذعر. إذ ما كادت تتأكد من أن شخصاً ما في الشقة حتى أطل روس برأسه من الباب: «مفاجأة، مفاجأة».

لا بد أنه توقع أن تشعر بالسرور لوجوده: «لدي فراغ في الحصة الأولى، وهكذا قال الناظر إن بإمكاني الخروج لأعود لاحقاً».

ألقت بحقيبة ظهرها على الأرض، بعد أن تركت حقيبة ثيابها في الردهة وقد تملكها شعور بغيض بأنها أصبحت غريبة في بيتها. كيف دخل روس؟ إنه لا يملك مفتاحاً لشقتها على حد علمها. لا بأس، ربما كان ينبغي أن تعطيه واحداً. ولكن لطالما كانت شقتها مكاناً يمكنها أن تهرب إليه من الجميع، فهي ملجؤها الوحيد منذ اضطرت لبيع البيت الذي كانت تعيش فيه مع إدوارد.

كان روس قد دخل الغرفة، وتقدمّ نحوها بذراعين مفتوحتين، وهو يسألها مقطب الجبين: «ماذا حدث؟ ظننتك ستسرين لرؤيتي. أعددت إبريق قهوة كما أن هناك بيضاً ولحماً للفطور».

بالكاد تمكنت آبي من إخفاء مشاعر الاشمئزاز التي تملكتها. لقد قدموا لها في الطائرة بيضاً ولحماً أيضاً.

سقط ذراعا روس على جانبيه حين رأى ما ارتسم على ملامحها وهتف: «كنت طائشاً عديم التفكير، أليس كذلك؟ يبدو عليك التوعك، ما السبب؟ رحلة غير مريحة؟ العواصف فوق الأطلسي قد تكون قاتلة. أتذكر أنني كنت عائداً في إحدى المرات من الولايات المتحدة، واضطررنا إلى وضع أحزمة المقاعد طوال...».

رفعت آبي يدها تسكته: «كيف دخلت الشقة يا روس؟».

فطرف بعينيه وقال عابساً: «كيف دخلت؟ بمفتاحي طبعاً. أنا لم أكسر الباب، إذا كان هذا ما تظنينه. بعد أن تحدثت إلى أخيك، خطرت لي فكرة نيّرة بأن أنام هنا».

فقالت غير مصدقة: «هل كنت هنا طوال الليل؟ وكيف حصلت على مفتاح للشقة؟ أنا لم أعطك مفتاحاً قط».

فقال بارتياح: «هذا صحيح. حسناً، أظن أن هذا مجرد بُعد نظر مني، فقد صنعت نسخة عن مفتاحك. والآن، ألست مسرورة لأنني فعلت هذا؟ ما كنت ستشعرين بالسرور لو أنك دخلت إلى شقة خالية».

فكرت آبي في أن دخولها إلى شقة خالية سيشعرها بأنها في الفردوس، لكنها لم تقل له ذلك. وهكذا قالت بفتور: «هل قلت إنك تحدثت إلى إدوارد؟».

فأجاب بهدوء: «الليلة الماضية. أردت أن أتحدث إليك طبعاً. لكنه أخبرني أنك ذهبت إلى المطار. فكرت في الذهاب لاستقبالك في مطار هيثرو، لكن ما فعلته بدا لي خياراً أفضل. فأنا أعلم أنك لا تحبين كثرة الكلام بعد عودتك من رحلة طويلة بالطائرة».

تنفست آبي بعمق، ثم قالت محاولة أن تخفي ما تشعر به من إحباط. لا ذنب لروس إذا كانت قد أفسدت حياتها: «ما كان لك أن تزعج نفسك».

ـ حسناً، اخلعي سترتك. وكما قلت لك، هناك قهوة في المطبخ وأنا واثق من أنك تريدين فنجاناً.

ـ ليس الآن.

قالت هذا وهي تفك أزرار سترتها بشكل آليّ، ثم أضافت: «في الحقيقة، ربما من حسن الحظ أنك هنا. إذ علينا أن نتحدث في بعض الأمور».

بدا على روس الشك، ثم نظر إلى ساعته: «لا أظن أن لدينا ما يكفي من الوقت للحديث عن رحلتك الآن. ما لدي من الوقت يكفي فقط لأن نتناول الفطور معاً، وبعد ذلك يتعيّن عليّ أن أذهب. صحيح أنني أخبرت الناظر أنني سأتأخر، لكننا لا نريد أن نحرجه، أليس كذلك؟ أعني خصوصاً أنه كان بالغ التفهم بالنسبة إلى أخذك عطلة لكي...».

ـ روس، أرجوك.

تمنت لو يخرس فقط ويدعها تتكلم. ألم يدرك أنها متوترة؟ بإمكانها في الواقع أن تتهمه بالتعدي على أملاك الغير ومع ذلك استمر، وبكل سرور، يدوس على كل ما تقوله.

ـ سأحضر القهوة.

ـ لا!.

ـ لا؟.

وبدا مشوّشاً، ثم لاحظ أنها لا تلبس خاتم الخطبة. فهتف: «آه، يا آبي. لا تقولي إنك فقدت خاتمك. فهو خاتم ثمين جداً، كما تعلمين. كنت أتوقع منك أن تكوني أكثر حرصاً...».

ـ أنا لم أفقده.

صرخت بذلك وهي تفتش في حقيبتها عن الخاتم ثم مدّت له يدها به: «هذا ما كنت أريد أن أخبرك به. آسفة يا روس. ولكن... حسناً، أظن أن عليك أن تستعيده».

لم يحاول روس أن يأخذ الخاتم بل قال غير مصدق: «أنت لست

جادّة. أنت متعبة الآن ولا تدركين ما تقولين».

ـ بل أدرك.

لم تكن آبي واثقة من شيء في حياتها كما هي واثقة الآن: «لقد فكرت في هذا الأمر كثيراً، فأدركت أن مشاعري لن تتغيّر. ليتني غير مضطرة إلى قول هذا، لكنني لا أستطيع أن أتزوجك يا روس. أنا آسفة».

ظهر التوتر على وجه روس وهو يقول غاضباً: «لا شك أن هذا من عمل أخيك، أليس كذلك؟ ما كان لي أن أدعك تسافرين إلى هناك».

فقالت، كارهة موقفه الاستبدادي: «ما كان بإمكانك أن تمنعني. كنت أظن أن إصابة إدوارد سيئة، وكان عليّ أن أذهب لأرى بنفسي».

فقال متهكماً: «لترى أن إصابته ليست كذلك. أناشدك بالله يا آبي، ألاّ تكوني حمقاء بهذا الشكل! إننا نتشابه في أمور كثيرة، مثل الخلفيات المتماثلة، وكذلك الاهتمامات والعمل».

بدا لها هذا كئيباً فجأة. لعلها تتصرف بحماقة. ربما لن تجد رجلاً آخر بمثل صبر روس أو رجلاً يقبل بامرأة لا تستطيع إنجاب الأطفال، كما أخذت تفكر متألمة. لكن هذه مأساتها هي وليست مأساته.

مهما يكن الأمر، فهي لن تحب روس. إنها تعرف هذا الآن. وربما كانت تعلم هذا حتى قبل أن تركب الطائرة إلى ميامي. ولهذا السبب لم تعد ترغب برؤية خاتمه في إصبعها. لم تكن تنوي قط أن تدع الأمور تصل إلى هذا الحد. ومع ذلك، رؤيتها لأليخاندرو مرة أخرى غيّرت كل شيء. حتى ذلك الحين، كانت قادرة على خداع نفسها بالظن بأنّ ما تشعر به نحوه مات. لكنها تعلم الآن أن هذا ليس صحيحاً. فهي لم تتوقف عن حبه يوماً. كانت تكرهه في بعض الأحيان، لكن مشاعرها الحقيقية لم تتغيّر قط.

وقالت مرة أخرى وهي تضع الخاتم الماسي على المنضدة الصغيرة بينهما: «كنت أود لو أستطيع أن ألوم إدوارد أنا أيضاً، ولكن هذا غير صحيح، يا روس. إذ ليس له علاقة بقراري هذا. كنت أظن أنني

أحبك، ولكن لا. أنا أعزّك. أعزّك كثيراً، ولكن هذا ليس كافياً لتأسيس حياة زوجية».

بدا عليه التمرّد. لكنها لاحظت أنه انحنى وأخذ الخاتم ثم وضعه في جيبه قبل أن يقول: «وهكذا، ماذا عنك الآن؟ هل ستعودين إلى فلوريدا؟ أظن أن أخاك استطاع أن يقنعك أخيراً بالاستقرار هناك».

وكأنه أهل لذلك... ولوت شفتيها: «لست عائدة إلى فلوريدا طبعاً».

تملكها الشك في أن تعود مرة أخرى إلى فلوريدا: «سأعود إلى العمل الأسبوع القادم. وأتوقع أن نعود إلى رؤية بعضنا البعض في غرفة الموظفين كالعادة. وأرجو أن نبقى صديقين».

فأشرق وجهه: «هل ستعودين إلى العمل؟ حسناً، طبعاً يمكننا أن نبقى صديقين».

ـ هذا حسن.

شعرت آبي بالارتياح، لكن شعوراً تملكها بأن روس لم يقطع الأمل بعد في أن تغيّر رأيها. ربما عليها أن تبحث عن عمل آخر رغم كل شيء.

بعد ذهاب روس، أحضرت آبي حقيبة ثيابها من الردهة ثم ملأت الغسّالة، بعد أن غيّرت أغطية السرير في غرفة النوم. كانت تعلم أن هذا عملاً صبيانياً، لكنها لم تستطع أن تحتمل فكرة أن روس نام في هذا السرير. أرادت أن تبدأ من جديد وأغطية سرير نظيفة هي البداية.

أثناء الأيام التي تلت، حاولت أن تلملم حطام حياتها، وساعدتها على ذلك عودتها إلى العمل، الأولاد الذين تعلمهم، المعلمون الذين تعمل معهم، كلهم كانوا مألوفين يشعرونها بالاطمئنان، وسرعان ما استغرقت في النشاطات اليومية للمدرسة.

في اللحظات الهادئة فقط، وعندما تأوي في الليل إلى فراشها، كانت تستسلم لمشاعرها، فتتذكر اليخاندرو.

وكما سبق أن ظننت، يبدو أن روس قرر أن كل ما تحتاج إليه هو مجال تتنفس فيه. وعندما كانت تواجهه في غرفة الموظفين، كان يصر على التصرف وكأن استعادتها خاتمه مسألة وقت. لم تعرف ما أخبر به زملاءه، أما هي فقد أوضحت لأصدقائها بأن الخطبة فُصمت. لكن روس بدا مقتنعاً بأنها ستغيّر رأيها. ربما كان الذنب في هذا ذنبها هي، كما أخذت تفكر متأملة، عندما تركت العمل متأخرة في عصر ذلك اليوم لكي تجد روس واقفاً عند البوابة بانتظارها. علم أنها تأخرت ذلك اليوم لكي تقابل والديّ أحد تلامذتها. ومع أن المسافة بين بيتها والمدرسة كانت قصيرة، إلاّ أنه قرر أن ينتظر لكي يوصلها.

بدا المساء ساراً يومها، وقد أزهرت أشجار اللوز. وكانت آبي متشوقة إلى السير في الحديقة العامة المجاورة للساحة التي يقوم فيها بيتها. هذا إلى أنها لم تكن تنوي أن تمنح روس أملاً زائفاً بقبولها دعوته. كان انتظاره لها لطفاً منه، ولكن عليه أن يعلم أنه يضيّع وقته.

سألها عندما خرجت من البوابة وكأن انتظاره لها أمر عادي: «هل كل شيء على ما يرام؟».

ـ ما الذي تفعله هنا يا روس؟ هل كان لديك اجتماع أنت أيضاً؟.

قالت هذا متمنية لو أن بإمكانها أن تتابع السير.

ـ وكأنك لا تعلمين.

وأشار إلى سيارته المتوقفة في الشارع: «هيا بنا. سأشتري لك فنجان قهوة وشطيرة. تبدين بحاجة إلى استراحة».

فتنهدت: «روس...».

ـ اسمعي. أعرف ما ستقولين. ليس لي الحق في أن أفترض أنك ستسرين لرؤيتي. ولكن، يا آبي! إلى متى سيدوم هذا؟ لقد مضت خمسة أسابيع.

فهزت آبي رأسها: «إذهب إلى بيتك، يا روس. وأنا ذاهبة إلى بيتي. إلى اللقاء غداً...».

ـ لا. لن تذهبي!.

وذهلت عندما أمسك بذراعها ليمنعها من الابتعاد: «كنت صبوراً حتى الآن، ولكن عليك أن تكفّي عن هذا الكلام الفارغ. لن أقبل بأن أُلقى جانباً كلعبة غير مرغوب فيها».

نظرت آبي إليه غير مصدقة: «روس، ما الذي تفعله؟ أترك ذراعي. أنت تؤلمني».

فقال بغضب: «حسناً، هذه هي المساواة. عندما تؤلمين الناس، فعليك أن تتوقعي أن يعاملوك بالمثل. لقد خدعتني يا آبي، وأنا لن أصبر على ذلك. ستأتين معي إلى بيتي لكي نضع حداً لهذا».

فشهقت: «لا».

ـ بل ستأتين.

وأخذ يدفعها على الرصيف: «ويجب أن تكوني شاكرة لي لأنني أشفقت عليك. الجميع يعلم أنك عشت حياة محزنة منذ سافر أخوك إلى الولايات المتحدة وتزوج تلك الحقيرة».

فتحت فمها مذعورة إزاء كلماته، ولكن قبل أن تتمكن من أن تجيبه، وفيما كان روس يتصارع معها ليجرها إلى سيارته، توقفت سيارة أخرى خلفها، ثم نزل منها رجل طويل يرتدي ثياباً داكنة: «هل من خطب، آبيغايل؟».

لم تخطىء في تمييز هذه اللهجة التي أثارت اضطرابها. استطاعت أن تنتزع ذراعها من قبضة روس، ثم استدارت لترى الرجل الكوبي واقفاً بتكاسل بجانب سيارته. كان، في بذلته الأنيقة، وظل لحية على فكه، مختلفاً تماماً عن روس في معطفه الرياضي ووجهه الملتحي. ومع ذلك، رغم السواد الذي ظهر تحت عينيه، لم يبد اليخاندرو قط من قبل أحسن مظهراً وأكثر قرباً وجيمية مما هو عليه الآن.

ـ من هذا بحق جهنم؟.

سألها روس، قبل أن يخسر حق المبادرة. فأومأ اليخاندرو برأسه:

«أنا نسيب تلك الحقيرة التي تزوجها شقيق آبيغايل. . .».

وهبط قلب آبي حين أدركت أنه سمع تلك الصفة الفظة غير المهذبة التي نطق بها روس: «ولا بد أنك. . .».

أكمل روس بلهجة عدوانية: «أنا خطيب آبي».

- بل خطيبها السابق.

صححت آبي قوله بتوتر، ثم استطاعت أن تتمالك نفسها فاستدارت إلى اليخاندرو: «يجب أن اعتذر عن فظاظة روس. إنه ليس بمثل هذا الغباء عادة وأخشى أنه أمضى نهاراً مجهداً».

أثارت عينا اليخاندرو فيها الاضطراب وهما تتأملانها بحدة، ثم قال برقة: «وأنت يا عزيزتي. هل أمضيت يوماً مجهداً أيضاً؟».

- وشاقاً. ما الذي تفعله هنا اليخاندرو؟ هل طلب منك إدوارد أن تأتي لتراني؟

وشحب وجهها قليلاً لهذه الفكر: «هل أصابه مكروه؟».

- بالنسبة لأخيك، لا. إنه قادر على السير مرة أخرى وهو يأمل في العودة إلى العمل بعد أسابيع قليلة.

ونظر إلى روس مفكراً قبل أن يضيف: «ذهبت إلى شقتك فوجدتها خالية، فأرشدتني جارتك إلى هنا».

فقال روس بلهجة تنذر بالشر: «ذهبت إلى بيتها؟ لا أدري من أنت يا صديقي، ولكن ليس لديك الحق في أن تقف على باب آبي من دون دعوة».

فقال اليخاندرو لاوياً فمه بكراهية: «أولاً، أنا لست من أصدقائك. وبما أن الآنسة ليتون كانت تحاول أن تهرب منك حين وصلت أنا، فلعلك لست من أصدقائها كذلك. على كل حال، إذا فهمت قولها بشكل صحيح، فأنت لم تعد خطيبها. وأنا أقترح عليك أن تمتثل لما قالته لك وتذهب إلى بيتك».

شخر روس وصلب ظهره واعتدل في وقفته إزاء الرجل الآخر، ثم

قال له متحدياً، مستعداً كما يبدو للقتال: «وإذا لم أذهب، ما الذي ستفعله؟».

تأوهت آبي: «أرجوك يا روس. افعل ما يقوله لك. سوف. . . سوف أتحدث إليك غداً. اليخاندرو صديق قديم وسأكون بأتم خير معه».

فقطب جبينه: «صديق؟ منذ متى؟ متى تعرفت إليه؟ ولماذا لم أسمع عنه من قبل؟ هل تعرفت إليه حين ذهبت إلى عرس إدوارد؟ هل هذا ما كان يعنيه حين قال إنه من أقارب زوجة إدوارد؟».

فتنهدت آبي: «حسناً، نعم. إذا كان لا بد أن تعلم».

وألقت نظرة باتجاه اليخاندرو آملة ألاّ يصغي إلى هذا، ثم أخفضت صوتها: «روس، أرجوك. هذا ليس من شأنك. اذهب إلى بيتك».

لكن روس بدا عديم الاكتراث بتوسّلها، وسألها: «إلى أي حد تبلغ معرفتك به؟ هل لي الحق في هذا السؤال؟».

فتدخل اليخاندرو قائلاً: «أظنك سألت ما فيه الكفاية. إلى أي حد نعرف بعضنا البعض أنا وآبيغايل شأننا نحن. وكما قالت لك، هذا ليس من شأنك».

فردّ عليه روس هائجاً، وكلماته تلذع آبي حتى العظم: «بل هو من شأني. . عندما عادت من عرس أخيها بدت محطمة وأصابتها عدوى قاتلة كادت تفتك بها. . . لقد أمضت أسبوعاً في المستشفى وأثر مرضها ذاك عليها كثيراً حتى أنها لم تعد تستطيع إنجاب الأطفال. وهذا مناسب لي لأنني أعاني الكفاية من الأولاد يومياً. لم أرغب يوماً بأولاد من صلبي».

* * *

٩ ـ أنت حياتي و . . . مستقبلي

لم تنتظر آبي لتسمع أكثر من ذلك وتمنت لو أن الأرض تنشق وتبتلعها. لم تشأ أن ترى الصدمة والفزع على وجه اليخاندرو. استدارت على عقبيها وعبرت الطريق شبه راكضة من دون اهتمام بحركة السير. سمعت صوت روس يناديها لكنها لم تجب. لم تكن تحتمل في هذه اللحظة النظر إليه، فكيف كانت تفكر في قضاء حياتها معه؟.

وصلت إلى الحديقة العامة بسلام ثم انطلقت بسرعة في ممرّ المشاة. توقعت أن يتبعها أحد الرجلين. ولكن إذا وصلت إلى شقتها، فهي لن تفتح الباب لأحد. لا بأس! روس لديه مفتاح. لكن للباب مزلاجين، وسوف تحرص على اقفالهما جيداً.

ظنت في ما مضى أن علاقتها مع روس هي كل ما تريده في الحياة. أو ربما كل ما تستحقه، كما فكرت بحزن. كانت تظن أنها تحرمه من أن يكون أباً، قبل أن تدرك أن هذا يناسبه أكثر مما يناسبها.

راح شعورها باليأس يزداد، وشعرت أنها تعيش كابوساً.

تملكتها الدهشة والارتياح حين وصلت إلى شقتها من دون أن يحدث شيء. لم تجد أثراً لسيارة روس في الساحة، ولا لسيارة المرسيدس السوداء الفارهة التي كان اليخاندرو يستقلها. ربما قرر الإثنان أنها لا تستحق أن يزعجا نفسيهما من أجلها، كما أخذت تفكر بألم.

كانت تعد لنفسها كوب شاي بيدين مرتجفتين عندما سمعت مفتاحاً

يتحرك في القفل. لكنها سبق أن أقفلت المزلاج خلفها، وتملكها السرور لأنها فعلت ذلك.

ـ آبي.

صرخ روس: «افتحي الباب يا آبي. أريدك أن تري ما فعله بي ذلك النغل».

وتأوهت آبي. ماذا الآن؟ ألم يدرك روس أنه قال ما فيه الكفاية؟ أما أن اليخاندرو لجأ إلى العنف الجسدي، فهي لا تصدق أنه يقاتل لأجل امرأة يكاد لا يعرفها. خرجت إلى الردهة لكي يسمعها وصاحت به: «إذهب من هنا يا روس. لا أريد أن أتحدث إليك الآن، بل لا أدري إذا كنت سأتحدث إليك مرة أخرى على الإطلاق».

فصاح بخشونة: «آه، هيا يا آبي. نحن الإثنان نعلم أنك بحاجة إليّ. فقط لأن فارغا ضربني على عيني فاسودت لا يعني أنه سيبقى متسكعاً في هذه الأنحاء».

أخذت أصابعها ترتجف وهي تجذب المزلاج وتفتح الباب، ولكن عندما أوشك روس أن يدخل، سدت عليه الطريق وهي تنظر إلى وجهه غير مصدقة. كان ما يقوله صحيحاً. فقد حدث له ما سبّب اسوداد عينيه. بدا الجلد حول عينه أسود متورّماً، بينما تدلّى فوقها الجفن المتنفخ. فتحت فمها ذاهلة: «هل فعل اليخاندرو هذا؟».

قالت هذا غير مصدقة، فوقف وقفة المحارب، وردّ عليها بحدة: «لا حاجة بك إلى إظهار السرور لما حدث. والآن، هل ستدعينني أدخل؟ أظنك مدينة لي بتفسير. من هو هذا الرجل فارغا بحق الله؟ أهو الشخص الذي وقعت في حبه قبل سنتين؟».

فأطبقت فمها ثم قالت بهدوء: «لن أخبرك بشيء يا روس، وبالنسبة إلى قولك إنني مدينة لك بتفسير، فلا أعتقدك جاداً. لقد أشعرتني بالخجل والحرج ولا تدّعي أنك كنت تفعل هذا لمصلحتي. لم يتملكني مثل ذلك الشعور المريع قط في حياتي».

توتر فك روس: «حسناً، الجميع سيعرف على أي حال، إذ بعد أن نتزوج لن تتمكني من إنجاب الأطفال».

انحنت آبي على الباب لحظة، ثم عادت فانتصبت: «لقد عنيت ما قلته من قبل. ابتعد من هنا، يا روس، ولا تقترب مني قط مرة أخرى».

ثم صفقت الباب واستندت إليه والدموع الساخنة تنهمر من عينيها. كانت تظن أن بإمكانها أن تثق به. لكنه مثل إدوارد بالضبط، يقول كل ما هو ضروري لكي يوصله إلى هدفه.

كان عليها أن تصحح دفاتر التلامذة، لكنها ألقتها جميعاً على المنضدة في غرفة الجلوس، وقد منعها الألم من القيام بأي عمل. وبدلاً من ذلك، حضرت الشاي وتكورت على الأريكة محاولة ألاّ تفكر في المستقبل. بدا لها وكأن العالم بأجمعه يتهاوى من حولها فلم تعلم ماذا عليها أن تفعل. افترضت أن عليها أن تشعر بشيء حيال معاملة اليخاندرو لخطيبها السابق، ربما بشيء من عرفان الجميل لأنه وجد نفسه مضطراً للدفاع. لكنها لم تستطع إلا أن تتساءل عما إذا كان قد تصرف بذلك الشكل فقط لأنه غضب لما قاله روس عن لورين. وفكرت بضعف أنه مهما كان الأمر، فهي لا تستطيع أن تفعل شيئاً إزاء ذلك الآن.

لا بد أنها بقيت جالسة هناك لأكثر من ساعة عندما قرع شخص ما بابها. وفكرت بضجر بأنه روس. متى سيدرك أن علاقتهما انتهت؟ ثم تذكرت أنها لم تضع المزلاج بعد خروجه. ولو كان القارع روس لاستعمل مفتاحه أولاً، ثم بدأ بالصراخ بعد ذلك. وقفت، ثم سارت إلى الردهة وصاحت: «من هذا؟».

كان الليل قد أرخى سدوله تقريباً، والنهار المتألق تبدّل بسماء ملبدة بالغيوم. نادراً ما تفتح الباب في هذا الوقت من الليل من دون أن تعرف هوية الطارق، إذ لم يكن من الحكمة أن تجازف.

ـ آبيغايل؟.

جاء صوت اليخاندرو منخفضاً منهكاً إلى حد لا تخطئه الأذن.

وحالما سمعته أدركت أنها كانت تأمل في قرارة نفسها أن يحضر. ولكن لماذا؟ مهما كان السبب الذي جعله يحضر إلى لندن، لا بد أن كلمات روس دمرّت كل تعاطف بينهما. وبعد الطريقة التي تصرّف بها في بخته، ستكون حمقاء إذا ظنت أنه هنا لأجلها.

لكنها لا تستطيع تجاهله، خصوصاً وقد تكلّف عناء الحضور إلى شقتها. وهكذا تخلت عن أي أمل في أن تخفي الدموع التي كانت تذرفها، فمسحت خديها بيديها وسارت إلى الباب تفتحه.

لم تعرف ما عليها أن تتوقع. ربما بعض الدلائل على عراكه مع روس. أتراه تلقى في المقابل لكمة من روس على عينه فبدت سوداء أيضاً؟ ولكن، باستثناء القلق والإنهاك اللذين على ملامحه، بدا مظهر اليخاندرو كما رأته من قبل تماماً.

كان مستنداً إلى الجدار بجانب الباب، لكنه انتصب في وقفته قائلاً: «أتريدينني أن أدخل؟».

فأدركت أنه ليس غاضباً منها: «أنا... طبعاً».

تنحّت جانباً لكي تدعه يمرّ، ثم أغلقت الباب وتبعته إلى غرفة الجلوس: «إذن... هذه مفاجأة».

التفت إليها وقد ملأ بضخامته شقتها الصغيرة: «لكنها ليست مفاجأة سارة».

قال هذا فأدركت أنه لاحظ عينيها المنتفختين. بينما تابع هو: «هل روس هنا؟ أريد أن أعتذر منه».

فشهقت: «لا، إنه ليس هنا».

وهبط قلبها وهي تدرك أنها كانت مخطئة تماماً بالنسبة إلى سبب زيارته. وابتلعت ريقها: «ما الذي جعلك تظنه هنا؟».

فأجاب ببساطة: «رأيته يأتي إلى هنا. انتظرته لكي يخرج، لكن سيارته ما زالت موجودة».

فطرفت بعينيها: «سيارته ما زالت موجودة؟ لم أكن أعرف هذا.

لقد غادر هذه الشقة منذ أكثر من ساعة».

بدا عليه التفكير، لكنها أدركت من ملامحه أنه لم يقتنع. ثم قال مفكراً: «أو ربما ظن أنني لن أحضر إلى هنا إذا ظننت أنه ما زال عندك. خطيبك رجل عنيد للغاية يا عزيزتي وهو لن يستسلم بسهولة».

ـ إنه ليس خطيبي.

قالت هذا بإصرار، لكنها لم تستبعد أن يفعل روس هذا. هزّ اليخاندرو كتفيه، ولم تستطع آبي منع نفسها من تذكر تلك الأمسية على اليخت عندما أخذها بين ذراعيه. عندما رقص معها، مدعياً أنه سيغويها ولكن، كما فعل روس بسيارته، كان يومها يقوم بلعبة فقط!.

شعرت أنه يتوقع منها قول المزيد: «أنا آسفة إذا كان ما قاله قد كدَّرك. حسناً.. إذا كنت تتوقع مني تفسيراً... منذ سنتين كنت أظنك رجلاً سعيداً بزواجك لذا رحلت...».

ـ إدوارد أخبرك بذلك؟.

قال هذا بخشونة وقد تصلبت ملامحه ثم شتم بصوت خافت: «أظنك تعلمين الآن أنه كان يكذب عليك يا آبيغايل. كما كذب عليّ حين أخبرته أنني أريد أن أراك مرة أخرى».

فبدت عليها الحيرة: «هل أردت أن تراني مرة أخرى؟».

ـ وماذا غير ذلك؟

ولكن لم يظهر على اليخاندرو أنّ هذا سرّه: «أنا لا أتحدث عن اليوم، هذا الأسبوع، هذا الشهر، هذه السنة يا آبيغايل. كنت سألحق بك بعد أول لقاء بيننا. وكان إدوارد يعلم هذا، فقد أخبرته بنفسي. قلت له إنني أريد أن أراك مرة أخرى وإذا به... إذا به يسخر مني».

ولوى شفتيه. فحدقت آبي إليه: «سخر منك؟».

لم تستطع أن تصدق ذلك. فقال: «تقريباً. قال إنك لن ترغبي في رؤيتي مرة أخرى وإنك مخطوبة. ولن ترغبي في حضوري الذي سيُعقّد حياتك».

فتملكها الذعر: «لم أكن أعلم بذلك».

لم تستطع أن تفكر في التعقيدات التي أحدثها خداع إدوارد، وتابعت: «لكنك كنت متزوجاً».

وترددت لحظة ثم عادت تقول: «إدوارد لم يكذب في هذا الأمر».

فقال بفروغ صبر: «لكنه لم يقل الحقيقة كلها. ولا أظنه أخبرك أنني كنت قد قدمت طلباً للطلاق. كنت أنا وماريا... وهو اسم زوجتي، قد انفصلنا قبل عرس أخيكِ بأسابيع. ولورين ووالداها يعرفون هذا، وأنا لا أصدق أن إدوارد لم يكن يعرف ذلك أيضاً».

فوضعت يداً مرتجفة على رأسها: «لم تكن لديّ فكرة حتى أنه تكلم معك. وعندما سألته لم يقل سوى إن لديك زوجة».

فتمتم اليخاندرو: «أنا أصدقك».

قال هذا بخشونة، فلاحظت الشحوب الذي بدا عليه فجأة وهو يقول: «وهكذا، عندما كنت أتصور أن سلوكك لا يحتمل الصفح، كنت أنت تظنين بي الشيء نفسه، أليس كذلك؟».

فتمتمت: «تقريباً».

لم تستطع أن تستوعب كل هذا. وعندما رأته يترنح على قدميه، أشارت إلى أريكة خلفه: «ألا تجلس؟».

ـ شكراً.

وجلس على الأريكة وهو يتنهد طويلاً: «قطعت رحلة طويلة وأنا متعب. وأظن أن آثار عدم النوم لأكثر من أربع وعشرين ساعة بدأت تظهر عليّ».

نظرت آبي إلى المطبخ وسألته بقلق: «هل أنت عطشان؟ هل أحضر لك شيئاً تشربه؟».

ـ الجلوس سينعشني.

فك أزرار سترته، ورفع بصره إليها، وأظهر محاولة شجاعة للابتسام: «أنا أشعر بتحسن كبير الآن».

تملكها الشك في ذلك. واستطاعت أن ترى ظلال الإرهاق على وجهه. يا إلهي... ما الذي قاله إدوارد؟.

ـ ألن تجلسي بجانبي؟.

وأفسح لها مكاناً، لكن آبي لم تثق بنفسها في الجلوس بقربه بينما مشاعرها مضطربة بهذا الشكل. وبدلاً من ذلك، جلست على ذراع كرسي أمامه وهي تحاول أن تستوعب كل ما قاله. بدا واضحاً أنه قطع كل تلك المسافة ليراها. ولكن هل ذلك لتصفية الجوّ بينهما أم ماذا؟

وقبل أن تقول شيئاً، عاد يقول بمرارة: «أنا لا ألومك لحذرك مني. بِمَ فكرت عندما أخبرك أخوك أنني متزوج؟ ربما ظننتني أسلي نفسي على حسابك. هل ظننت أنني أردت إغواءك لكي أستمتع؟... لا شك أنك حمدت الله لأنك نفدت بجلدك قبل فوات الأوان».

وبدا عليه الاشمئزاز: «لم يكن الأمر بهذا الشكل، يا آبيغايل. وأنا لست رجلاً سيئاً مهما كان ما سمعته من إدوارد».

فتمتمت بعجز: «أعرف هذا الآن. وروس هو أول رجل خُطبت له، ولم يكن لدي خطيب آخر».

فأخذ يشتم: «لا عجب في أنك كرهتني، يا عزيزتي».

ثم لوى شفتيه: «وربما ما زلت تكرهينني».

ـ لا!.

وانتصبت واقفة، غير قادرة على الجلوس بجمود إزاء الاتهام الذي يلتهب في عينيه: «ولا أظنك تصدّق ذلك حقاً».

فرفع حاجبيه: «ولماذا لا أصدقه؟».

حاولت أن تجد الكلمات المناسبة: «حسناً... تلك الليلة على اليخت...».

فأظلمت عيناه: «نعم... دعينا نتحدث عن تلك الليلة على اليخت. دعينا نزيل الشوائب من طريقنا أولاً، كما يقولون، وبعدئذ يمكننا أن نتحدث عما هو هام حقاً».

فابتلعت ريقها: «كما تشاء».

ونظرت إلى المطبخ: «ولكن إذا لم يكن لديك مانع، فسأحضّر إبريق شاي آخر... أنا... أنا بحاجة إليه! أنا عطشى».

وفوجئت به يقف مشرفاً عليها مرة أخرى فقالت: «لا. يمكنك أن تبقى هنا. استرح ولن أتأخر».

ـ لا تدعينني أنتظر هنا كالعاشق المخذول. دعيني آتي معك وأعدك بألاّ أكون عثرة في طريقك.

كلماته الضارعة بعثت الرجفة في جسدها. لكن عليها أن تحتفظ بتوازنها، مذكرة نفسها بأن وجود اليخاندرو هنا لا يعني أن كل مشاكلها انتهت. كان ينتظر جوابها وبهزة خفيفة من كتفيها قالت: «لا بأس. لكنني أنبهك إلى أنه لا يشبه المطابخ التي اعتدت عليها».

ـ أتظنينني أهتم؟.

أصبح صوته فجأة ثخيناً بالمشاعر. ومد يده يزيح خصلة من شعرها إلى وراء أذنها، ثم مرّر إصبعه على خدها باهتمام واضح: «أنت لن تبكي مرة أخرى، أليس كذلك؟ أنا أعرف روس، آلمك كثيراً، ولكن، والحق يقال، أظنه يهتم بك كثيراً».

وجدت الكلام صعباً عليها، لكنها قالت مغالبة دموعها: «وأنا آلمته أيضاً. إنه ليس شخصاً سيئاً. إنه فقط... حسناً، من الأفضل ألاّ أتحدث عن ذلك الآن».

ـ وأنا متفهم.

لكن فم اليخاندرو توتر قليلاً وسقطت يده إلى جانبه. إذا جاء إلى إنكلترا ليراها، فما الذي أخّره إلى هذا الحد؟.

وقف في مدخل المطبخ الصغير بينما أخذت تجهز الصينية لهما معاً بانتظار أن يغلي الماء.

ـ هل سكنت هنا مدة طويلة؟.

سألها هذا بأدب فأوضحت له أنها انتقلت إلى هنا عندما ذهب

www.elromancia.com

إدوارد ليعيش في الولايات المتحدة. ولم تضف بأن هذه الشقة كانت مهرباً لها عندما يبدو لها العالم خالياً من الأصدقاء. كما حدث عندما عادت من عرس إدوارد مثلاً... أو أنها لن تستطيع قط أن تقف في مطبخها مرة أخرى من دون أن تتخيله مستنداً إلى المنضدة كما تراه الآن.

سألها: «وروس؟ هل يسكن هنا هو أيضاً؟».

فأجابت بلهجة جازمة: «لا. إن لروس بيته الخاص وهو غير بعيد من هنا».

استوعب اليخاندرو ذلك، وتابع وقد ازداد عمق الخطوط حول فمه: «هل ما زلت تهتمين به؟ رغم أنكما لم تعودا معاً...؟».

ـ نحن لم نعد معاً لأنني لا أحبه.

قالت هذا بلهجة متوترة وقد سرّها غليان الإبريق ما منحها شيئاً تفعله لتتجنب عينيه. ثم ترددت: «هل تأخذ سكراً مع الشاي؟».

ـ سآخذه بأي شكل تمنحينه لي.

قال ذلك بخشونة، وتابع وكأنه لم يعد يستطيع الانتظار أكثر: «أتعلمين لماذا كنت... كنت غاضباً تلك الليلة، ليلة وجودنا على اليخت؟ ظننت أنك جئت لأن إدوارد طلب منك أن تتشفعي له».

اهتزت يدها قليلاً حين وضعت إبريق الشاي على الصينية، ثم قالت تعترف بعدم ثبات: «كان هذا سبب قبولي دعوتك. لكنك تعرف ذلك، ولهذا السبب قررت أن... أن تعلمني درساً».

فهتف اليخاندرو: «هل كان هذا ظنك؟».

فقالت بسرعة: «أنا لا ألومك. حتى ذلك الحين، كنت أشك في أن إدوارد لم يخبرني الحقيقة. لكنني انتزعتها منه فيما بعد. ومن المحزن أن الوقت كان قد فات لكي أخبرك».

قطب اليخاندرو جبينه ثم هتف محتجاً: «لكنك رحلت في اليوم التالي. كان لديّ اجتماع عمل لم استطع تأجيله، وعندما عدت كنت قد رحلت. بدا أخوك مسروراً للغاية وهو يخبرني بأنه لم يعد بحاجة إليّ.

فلويس وافق على أن يدفع ديون أخيك من أجل لورين، هل تفهمين؟ فهي ما زالت تحبه، وكذلك من أجل الجنين الذي ينمو داخلها».

حبست آبي أنفاسها: «لورين حامل؟».

ـ بعون الله وبفضل العلاج المتطوّر. إنها من السعادة بحيث لا أظن أن صديقي لويس استطاع أن يرفض لها طلباً. بما في ذلك عونه لصهره الجاحد.

وارتجفت آبي: «كم أنا سعيدة لأجلهما. متى اكتشفا ذلك؟».

هزّ كتفيه: «اشتبهت لورين بالأمر منذ فترة، لكنها أرادت أن تنتظر حتى تتأكد قبل أن تزف الخبر لزوجها ووالديها».

ـ فهمت.

ـ على أيّ حال، هذا ليس سبب مجيئي إلى هنا.

قال هذا ثم تقدم إليها: «سآخذ الصينية منك».

لكن آبي اعترضت: «لا. سأحملها بنفسي. اذهب واجلس مكانك».

ـ وإذا لم أفعل؟.

جالت عيناه على وجهها الذي تعمدت أن تشيحه عنه: «حبيبتي، هذا لن ينفع. إلى متى تظنين أن بإمكانك أن تبقيني بعيداً؟ لقد جئت لأراك، لأراك أنت فقط. لأرى إن كان ممكناً أن تمنحيني فرصة أخرى».

ـ فرصة أخرى؟.

نسيت أمر الصينية والتفتت إليه وهزت رأسها: «ولكن لماذا انتظرت هذا الوقت الطويل؟».

فهز رأسه: «ماذا تظنين؟».

فطرفت بعينيها: «إدوارد؟».

لم تستطع أن تفهم ما علاقة أخيها بالأمر، فقال بتثاقل: «طبعاً. كنت أعتقد أنك ما زلت مخطوبة لروس. كنت تلبسين خاتمه. لم يكن لديّ شك هذه المرة بأنه موجود».

www.elromancia.com

فحدّقت إليه: «وكيف عرفت . . .؟».

التوت شفتاه وهو يقاطعها: «عرفت أن خطوبتكما انتهت؟ لم يخبرني إدوارد بذلك حتى أمس، وذلك لأسباب لا يعرفها سواه. وأظنه اعترف بذلك امتثالاً لطلب لورين. هل فهمت؟ حتى ذلك الحين كنت أظنك تكرهينني».

فقالت بنبرة عاطفية: «أنا لم أكرهك قط. آه، اليخاندرو، لا أعرف ماذا أقول».

ـ وأنا أيضاً.

ربت على خدها المتوهج: «هل يمكنك أن تصفحي عني؟».

ـ أصفح عنك؟.

ـ لأنني سبَّبتُ لكِ الألم.

ـ لكنك كنت تظنني مخطوبة لرجل آخر.

ـ وهل تظنين أن هذا عذر جيد؟ كان علي أن أحاول رؤيتك مرة أخرى لأتأكد بنفسي.

فقالت وهي ترتجف: «تذكّر أنني كنت قد عرفت لتوّي أنك متزوج».

فقال وعيناه تلتهبان بالمشاعر: «يا لها من شبكة من الأكاذيب!».

فقالت آبي بتعاسة: «وأكثرها من صنع إدوارد. كان متلهفاً إلى أن يستقل عني. منذ توفي والدنا، كنت له أماً أكثر مني أختاً، لكنه يكره ذلك».

فقال بنعومة: «أنت تعرفينه جيداً يا عزيزتي. تعرفين أخطاءه ومواطن ضعفه، بعكسي أنا. ولذلك، افترضت أنك مثله تماماً. وعندما عدت إلى فلوريدا، كل ما فكرت فيه هو العثور على وسيلة أوْلمك بها كما آلمتني. يا لي من أحمق متغطرس».

ـ اليخاندرو. . .

ـ لا، أصغي إليّ يا عزيزتي. لم تكن هذه المرة الأولى التي يجد فيها

أخوك نفسه في ضائقة مالية منذ جاء إلى الولايات المتحدة. منذ عام، والتفاصيل غير مهمة هنا. . . وافقت على مساعدته خصوصاً بعد أن طلبت لورين مني ذلك. ولكن هذه المرة، رفضت ذلك.

نظرت آبي إليه مذعورة: «وهل أعاد إليك مالك؟».

فتنهد: «هذا ليس مهماً».

ـ ولكن هل أعاده؟.

فتردد: «البعض منه. المال ليس الموضوع، يا آبي. على إدوارد أن يدرك أنه يعيش فوق مستوى دخله».

فارتجفت: «لقد عرفت هوية أولئك الذين اقتحموا شقته أليس كذلك؟».

ـ عندما أخبرتني ما حدث، تملكتني الشكوك. كما أن توقيت مجيئك من انكلترا كان مناسباً تماماً.

فاحتجت بضعف: «ظننت إصابة إدوارد سيئة. لم تكن لديّ فكرة. . .».

ـ نعم، كنت قلقة عليه. أنا أعرف ذلك الآن.

أثناء حديثها كان قد تقدم وأمسك بيدها: «لقد جعلك تظنين أن حالته سيئة لأنه يعلم كيف سيكون شعورك. لو لم أكن أعلم أن السائق الآخر كان ثملاً، لتساءلت عما إذا كان إدوارد قد سبّب هذا الاصطدام بنفسه».

قال هذا وهو ينظر إليها، ثم سأل: «هل أجرؤ على أن أتمنى صفحك؟».

ـ ليس هناك ما يستوجب الصفح.

أصبحت واعية إلى أن المسافة التي تفصل بينهما لا تتجاوز السنتيمترات، فتزايدت دقات قلبها وأضافت بنعومة: «ومع ذلك، الآن وقد عرفت الحقيقة، يجب أن تدرك أيضاً أن لا مستقبل لنا معاً».

ـ ماذا؟.

كانت ردة فعله عنيفة. أمسك بذراعيها بقوة لا مبرر لها بينما بدا الغضب والاضطراب بوضوح في عينيه: «ماذا تعنين؟ كنت أظن... من المؤكد أنني لم أكن مخطئاً طوال الوقت. كنت أظنك تهتمين بي... على الأقل نصف ما أهتم أنا بك».

راح يهزها لكي تفهم. وإذا بها تقول بأسى: «أنا أهتم...».

- إذن...؟.

وأخذت تلهث كما لو أنها تقوم بجهد شاق: «اليخاندرو... شعوري ليس أهم شيء هنا».

بدا عليه الحيرة والإحباط معاً: «لا يمكنك أن تشكي في اهتمامي بك. أنا أحبك يا آبيغايل. أحببتك منذ ذلك الصباح الذي خرجت فيه من بحيرة آل اسكويفال أمام عيني».

أغمضت آبي عينيها عن فتنته السمراء. كان من السهل عليها الإذعان... من السهل أن تخدع نفسها بأن الحب وحده يكفي. لكن هذا غير صحيح. قالت بصعوبة: «أنت تنسى أن ليس بإمكاني أن أنجب. أنا أحبك لكنني أعلم أنك تريد أولاداً فأنت الإبن البكر لوالديك. عندما أخبرك روس الحقيقة، تحطمت. كنت موجودة يا اليخاندرو، وقد رأيت ذلك في وجهك».

حاولت الابتعاد عنه، لكنه لم يدعها تذهب: «ماذا رأيت؟ هل رأيت الكدر وخيبة الأمل؟ أم رأيت ألمي لتحطمك؟ هل يمكنك أن تقولي صادقة ما رأيته في عينيّ؟».

فهزت آبي رأسها: «لا أدري إذا كنت أستطيع أن أصدقك».

- ولماذا لا؟.

احتضنها بين ذراعيه: «آبيغايل، لا أستطيع أن أعيش من دونك. أنت حياتي ومستقبلي. أنت كل ما يهمني. وماذا يفيدني أن أتزوج امرأة أخرى، بينما المرأة الوحيدة التي أريد بعيدة عني؟».

***

الخاتمة

كانت لورين وآبي مسترخيتين في حوض السباحة عندما وصل اليخاندرو.

- زوجك جاء مبكراً.

قالت لورين هذا وهي تسمع صوت سيارة اليخاندرو، ولم تصحح آبي قولها هذا. لكن الحقيقة هي أن اليخاندرو يبكّر دوماً في العودة إلى بيته، فهو يكره كل دقيقة يمضيها بعيداً عنها.

- أرجو أنني لم أقطع عليكما شيئاً.

كان قد نزع ربطة عنقه لكنه لا يزال مرتدياً البذلة التي لبسها إلى مكتبه. بدا كعادته دوماً، وسيماً وذا جاذبية خطرة. ابتسم للورين، لكن آبي هي التي جذبت انتباهه. وقف بجانب البركة وانحنى يعانقها. تململت لورين بشيء من الحرج، إلا أن اليخاندرو لم يشعر بأي حرج وهو يقول ويده تلامس كتف زوجته بحب: «مرحباً، يا حبيبتي. هل تمانعين في أن أنضم إليكما؟».

أخفت آبي ابتسامة وهي التي اعتادت تصرفات زوجها. لكن لورين شعرت أن من الأفضل أن تنسحب، فقالت بسرعة: «يجب أن أذهب».

ومدت يدها إلى المنشفة القريبة منها، ثم نظرت إلى اليخاندرو متوترة: «لا بد أن كاتي استيقظت من غفوتها الآن».

تظاهر اليخاندرو بالحزن الشديد وقال ببراءة بالغة: «لا تذهبي

www.elromancia.com

بسببي يا عزيزتي».

ونظر إلى زوجته وهو يتكلم فرأت في عينيه نظرة خبيثة وهو يتابع: «من المؤكد أن البركة تتسع لنا نحن الثلاثة».

قالت لورين بجمود: «أنا واثقة من أنك وزوجتك تفضلان أن تكونا وحدكما».

أراد اليخاندرو أن يتابع مزاحه لكن نظرة من زوجته منعته: «وربما معك حق».

قال هذا وهو يقبل آبي في رأسها قبل أن يضيف: «أرجو المعذرة. سأذهب وأغيّر ملابسي».

وما إن دخل إلى البيت حتى ملأ الجوّ الحار بكاء طفل ما جعله يلتفت إلى زوجته بنظرة ضارعة: «لا».

لكن آبي كانت قد وقفت وخرجت من البركة. أجابته وهي تلحق به حافية: «نعم. إنه وقت غدائه».

ربطت المنشفة حول جسمها ثم قبضت على ذراع اليخاندرو: «أنت تستحق ذلك. رحت تغيظ لورين دون رحمة».

فقال بجفاء وهما يدخلان غرفة الجلوس الفسيحة: «ليس لها أن تقلق. ألم تعرف بعد أنني لا أهتم بالنظر إليها؟ كل ما فكرت فيه هو أننا سنستمتع بوجودنا معاً في البركة».

ـ لا، هذا غير صحيح.

لكنه أغاظها بأن أخذها بين ذراعيه: «أخبريني بأنك لن تمضي الساعة التالية في إطعام ابننا. أريدك لي».

ـ لا، بل أقل من ساعة. والآن، يا حبيبي، سيشعر ابننا بالجوع إذا لم تدعني أذهب.

ـ لا أريد أن أدعك تذهبين يا حبيبتي الحلوة. بل أريدك أن تبقي بجانبي.

ـ وأنا أيضاً أريد البقاء معك. لكن أنطونيو جائع.

فأغمض اليخاندرو عينيه: «يا لأنطونيو المحظوظ».

ثم فتحهما وهو يتمتم: «أرجو أن يدرك كم أضحّي لأجله».

فابتسمت: «أنا واثقة من أنه يدرك ذلك».

ثم تابعت برزانة: «ونحن محظوظان جداً به».

قال بجفاء: «أعلم هذا. أفكر أحياناً في أنك لو لم تكوني واثقة تماماً من أنك لن تنجبي أطفالاً، لاتخذنا بعض الاحتياطات. لم أكن أنوي قط أن يكون لنا طفل بعد ثمانية عشر شهراً فقط من زواجنا».

فابتسمت: «لكنك مسرور به، أليس كذلك؟».

أحاط وجهها بيديه: «ابننا؟ ليس لديك فكرة يا حبيبتي عن مبلغ الزهو الذي شعرتُ به حين أخبرتني أنك حامل».

وطبع قبلة على جانب فمها: «إنه شعور لا يمكن وصفه».

عادا يسمعان صوت بكاء الطفل مرة أخرى. ومع أن المربية كانت تبذل جهدها، إلا أن آبي أدركت أنه لن يستقر إلا بعد أن ترضعه.

ـ لن أتأخر، وبعد ذلك...

قالت هذا وهي تهرب من بين ذراعي زوجها بأسف حقيقي.

فقال بنبرة عاطفية: «بعد ذلك سأعوض عن الوقت الضائع».

ثم انتصب في وقفته: «والآن سأودع قريبتي إلى خارج المنزل».

جاءت ضحكة آبي ناعمة جميلة: «لا تتأخر. بالمناسبة، أخبرتني أن إدوارد انتهى أخيراً من سداد ديونه».

ـ عليّ أن أخبرك بأن هذا لا يهمني كثيراً في هذه اللحظة.

أصبح بكاء أنطونيو صراخاً، فعبس وتابع يقول: «لدي أشياء أخرى عليّ أن أهتم بها. اذهبي واطعمي ابننا يا حبيبتي».

توجهت آبي نحو الباب لكنه ناداها فالتفتت إليه فقال: «أحبك».

خفق قلبها بعنف وأجابت بالإسبانية: «وأنا أيضاً أحبك، فأنت حياتي».

* * *

www.elromancia.com